أستاذ محاضر (أ) **الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية**

جامعة عباس لغرور خنشلة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

شعبة: علوم إنسانية: تاريخ

تخصص: تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

الرقم التسلسي:.....

اسهامات عبد الحميد زوزو في الكتابة التاريخية الجزائرية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في شعبة: التاريخ

تخصص: تاريخ المقاومة والحركة الوطنية

من إعداد الطالبتين:

- أحلام خوجة
- شهرة لعلاونة

إشراف الأستاذ:

عبد النور غرينة

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
ليلى بوشعيب	أستاذة محاضرة (ب)	**رئيسا**
عبد النور غرينة	أستاذ محاضر (أ)	**مشرفا ومقررا**
ياسين وادفلي	أستاذ محاضر (أ)	**ممتحنا**

السنة الجامعية: 2026/2025

السنة الهجرية: 1446هـ/1447هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان



أولا وقبل كل شيء نرفع إلى ربنا آيات الشكر والحمد والثناء لبارئ البرية ومنزل ربنا الله عز وجل الذي أنار لنا طريق العلم ومنحنا الصبر والقوة لتجاوز الصعاب وإتمام هذا الجهد المتواضع فله الحمد حتى يرضى وله الحمد إذا رضي وله الحمد بعد الرضا.

كما نتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذ المشرف "غرينة عبد النور" فكان نعم الموجه والمرشد، لم يبخل علينا بنصائحه القيمة وتوجيهاته السديدة التي كانت سراجاً أضاء لنا عتمة البحث وجزاه الله عنا كل خير.

كما نتقدم بالشكر إلى لجنة المناقشة على قبولهم مراجعة هذه المذكرة وعلى وقتهم الثمين الذي منحونا إياه.

شكر خاص إلى الدكتور "صالح كليل" على تقديمه لنا بعض النصائح.

كما نتقدم بالشكر لأساتذتنا الأفاضل في قسم التاريخ على ما قدموه لنا من معرفة ودعم وتوجيه.

الشكر كذلك إلى عمال مكتبة الجامعة، وكذلك متحف المجاهد لولاية خنشلة والمكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية لولاية خنشلة على حسن استقبالهم لنا.

والشكر موصول لكل من ساعدنا في إنجاز هذه المذكرة ولو بالقليل.

ونسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

احلام شهرة

2026



إهداء

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عبده المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم.

أهدي ثمرة جهدي إلى من جعل الجنة تحت أقدامها وسهلت لي الدرب بدعواتها "أمي الحبيبة" أدام الله عليها الصحة والعافية.

وإلى من كلله العرق جبينه وعلمني أن النجاح لا يأتي إلا بالصبر والإصرار إلى من لا ينفصل اسمي عن اسمه "سندي وقوتي وملاذي بعد الله "أبي" حفظه الله".

إلى من كانوا لي سند وعونا ورفاق درب لا يميل إخوتي وأخواتي الغاليين بكنز مروءتكم وحبكم اللا مشروط أدامكم الله في حياتي.

وإلى رفيقتي التي شاركتني في العمل:

أهديكم هذا الإنجاز عربون احترام وتقدير ابدي وثمرة النجاح التي طالما تمنيتها انا اليوم اكملت واتممت اولى ثمراتي بفضل دعواتكم وبفضله سبحانه وتعالى والحمد لله

أحلام خوجة





إهداء

من قال أنا لها "نالها"

وأنا لها إن أبت رغما عنها أتيت بها

لم تكن الرحلة قصيرة ولا ينبغي لها أن تكون لم يكن الحلم قريبا

ولا الطريق كان محفوفا بالتسهيلات لكنني فعلتها ونلتها.

إلى الذي زين اسمي بأجمل الألقاب ومن دعمني بلا حدود وأعطاني بلا مقابل....

من علمني أن الدنيا كفاح وسلاحه العلم والمعرفة دعمي الأول في مسيرتي وسندي

وقوتي وملاذي بعد الله ...

إلى فخري واعتزازي ...أبي

إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها واحتضنتني قلبا قبل يدها وسهلت الشدائد لي

بدعائها إلى القلب الحنون والشمعة التي كانت في الليالي المظلمات

سر قوتي ونجاحي.... أمي

إلى ضلعي الثابت وأمان أيامي الى من شددت عضدي بهم فكانوا لي ينابيع أرتوي منها

إلى خيرة أيامي وصفوتها إلى قرة عيني ...أخي وأختي

إلى كل من كان عونا وسندا في هذه الطريق... لأصحاب الشدائد والأزمات إلى من أفاضني بمشاعره

ونصائحه المخلصة

أهديكم هذا الإنجاز وثمرة نجاحي الذي طالما تمنيته ها أنا اليوم أكملت وأتممت أول ثمراته بفضله سبحانه

وتعالى فالحمد لله على ما وهبني

شهرة لعلاونة



مقدمة

مقدمة:

إن الحديث عن كتابة التاريخ الوطني هو الحديث عن محاولة الأمة لترسيخ ذاكرة وطنية متصلة بجذورها التاريخية، ورصد مسار تطورها الاجتماعي والسياسي والثقافي عبر العصور. فالكتابة التاريخية تمثل أداة أساسية لفهم الماضي، وتحليل التحولات التي عرفتها الجزائر، وتفسير أسباب ونتائج الأحداث الكبرى بما يساهم في بناء وعي وطني حقيقي وإعادة الاعتبار للذاكرة الجماعية.

مع بداية القرن العشرين، شهدت الجزائر تحولات هامة على الصعيدين السياسي والفكري، فقد ازدادت الحاجة إلى كتابة تاريخية موضوعية تواكب هذه التحولات وتتصدى للسردية الاستعمارية التي حاولت تشويه الأحداث وتشويه صورة الأمة. وقد أوجد هذا السياق مناخا جديدا للبحث التاريخي، حيث انطلقت جهود نخبة من المؤرخين والمثقفين الجزائريين لتدوين تاريخ الوطن، وتوثيق المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وحفظ التراث الوطني، معتمدين على مصادر متعددة ومناهج دقيقة، لتقديم قراءة تاريخية وطنية. ومن بين هؤلاء المؤرخين الذين تركوا أثرا كبيرا في تطوير الكتابة التاريخية الجزائرية، يتجلى عبد الحميد زوزو، الذي أسهم بشكل فاعل في توثيق تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، فقد ركز في أعماله على موضوعات مركزية مثل الحركة الوطنية، المقاومة الشعبية والسياسات الاستعمارية، معتمدا على مصادر أرشيفية وشهادات دقيقة، ما أكسب إنتاجه العلمي مصداقية وأهمية أكاديمية عالية.

أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية هذا الموضوع في كونه يفتح نافذة على قامة تاريخية بارزة، وهو المؤرخ عبد الحميد زوزو، مسلطاً الضوء على إسهاماته العميقة في تشكيل مدرسة تاريخية وطنية موضوعية، خاصة في ظل الحاجة لمواجهة الروايات الاستعمارية. وتكمن القيمة أيضا في الكشف عن

منهجية بحثية دقيقة، وتقديم نموذج للأجيال الشابة حول كيفية صون الذاكرة الوطنية، مما يثري المكتبة التاريخية الجزائرية ويسد نقصا في الدراسات الأكاديمية حول هذه الشخصية التاريخية.

أهداف الموضوع:

1. توثيق إسهامات زوزو في الكتابة التاريخية.
2. إبراز منهجه النقدي المعتمد على مصادر أرشيفية.
3. تحليل دوره في مواجهة السردية الاستعمارية.

الإطار الزمني والمكاني:

- **الإطار الزمني:** من الفترة الاستعمارية حتى ما بعد الاستقلال، مع التركيز على فترة عطاء زوزو.
- **الإطار المكاني:** الجزائر

أسباب اختيار الموضوع:

لقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع لجملة من الأسباب الذاتية والموضوعية وهي كالأتي:

الأسباب الذاتية: وقع اختيارنا على هذا الموضوع انطلاقا من شغفنا المشترك بالتعمق في دراسة تاريخ الجزائر وطموحنا في تطوير مهاراتنا البحثية والأكاديمية من خلال تحليل منهجية المؤرخ عبد الحميد زوزو.

الأسباب الموضوعية:

- ✓ ندرة الدراسات الأكاديمية حول دور زوزو في كتابة تاريخ الجزائر.
- ✓ الأهمية العلمية الكبيرة للمصادر والوثائق التي قدمها للمكتبة التاريخية.

- ✓ إبراز قيمة اعتماده على منهجية نقدية دقيقة في كتاباته، لإظهار قوة ومصداقية تحليله التاريخي.
- ✓ إبراز دور زوزو في إعادة تفسير بعض الأحداث التاريخية المغلوطة، مما ساهم في بناء وعي وطني قوي للأجيال.
- ✓ السعي إلى تقديم مذكرة بحثية جديدة تهدف إلى إثراء مكتبة الجامعة بمساهمة علمية حول إسهامات عبد الحميد زوزو في كتابة التاريخية الجزائرية بهدف تقديم إضافة علمية وتعزز من رصيد المكتبة وتفتح آفاقا جديدة للبحث الأكاديمي في هذا المجال.

الإشكالية:

تطرح الإشكالية الجوهرية لهذا البحث في التساؤل عن القيمة المضافة التي قدمها المؤرخ عبد الحميد زوزو للمشروع الوطني لإعادة كتابة التاريخ، فكيف استطاع من خلال نتاجه العلمي المتنوع أن يتحول من مجرد باحث في الأحداث إلى أن يصبح رائد من رواد المدرسة التاريخية الجزائرية؟ هل نجحت مؤلفاته في إعادة الإعتبار للشخصية الجزائرية وإعادة الاعتبار للشخصية الجزائرية كصانعة لسيادتها وتاريخها مراكزا على الدراسات المحلية؟

– وتندرج تحت هذه الإشكالية جملة من التساؤلات الفرعية وهي كالتالي:

1) ما هو مفهوم الكتابة التاريخية عند زوزو؟

2) من هو عبد الحميد زوزو؟

3) ما هي أبرز المؤلفات التي قدمها زوزو حول تاريخ الجزائر وما هي القضايا التي تناولها؟

4) ما هي المصادر المعتمدة في كتاباته؟

5) ما مدى موضوعية زوزو في نقده للمصادر التاريخية الفرنسية التي استخدمها؟

مناهج الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا للموضوع على:

- **المنهج التاريخي الوصفي:** تم توظيفه للتعريف بالكتابة التاريخية في الجزائر وتتبع مميزاتها في فترات مختلفة وعرض مؤلفات زوزو بالتسلسل للوقوف على تطور فكره التاريخي وإنتاجه العلمي.

المنهج التحليلي: كان ضروريا في تحليل مؤلفات زوزو ودراسة محتواها الظاهري والباطني ومنهجه وأسلوبه في الكتابة لتقييم قيمتها العلمية.

المنهج النقدي: وظفناه لإعطاء قيمة علمية لكتاب "ثورة الأوراس1879" من خلال نقد محتواه وتقييم مدى مساهمته في الكتابة التاريخية.

المصادر والمراجع المعتمدة عليها :

اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها على سبيل المثال:

المصادر: المتمثلة في كتابات عبد الحميد زوزو.

عبد الحميد زوزو: "ثورة الأوراس 1879م"، أفادنا في الفصل الثالث لأنه ساعدنا في فهم منهجه الكتابي وأسلوبه عن طريق تحليل محتوى الكتاب.

عبد الحميد زوزو: "ثورة الأوراس إبان فترة الاحتلال الفرنسي (1937-1839م)" أفادنا في فهم التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمنطقة خلال تلك الفترة.

عبد الحميد زوزو: "نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر (1830-1900)" أفادنا في الاطلاع على مصادر أصلية التي استخدمها زوزو وكيفية تحليله لتلك الوثائق مما ساعدنا في فهم منهجه البحثي ورؤيته التاريخية.

المراجع:

بوعزة ساية ساجية: " كتاب رواد المدرسة التاريخية الجزائرية"، استفدنا منه كثيرا في الفصل الثاني الذي تناول فيه مسار عبد الحميد.

أبو القاسم سعد الله: بمختلف عناوينه (أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر)، (تاريخ الجزائر الثقافي) بمختلف أجزائه، له فضل كبير في إثراء مذكرتنا بمعلومات قيمة وظفناها في الفصل الأول.

ناصر الدين سعيدوني: "ورقات جزائرية"، الذي ساعدنا في توضيح المميزات والسياق التاريخي للكتابات التاريخية الجزائرية.

- ❖ على الرغم من مراجعة الدراسات السابقة لم نجد هناك أي دراسات تتناول الجانب الذي نتناوله في دراستنا حاليا مما إلى زوزو دراسة نوعية على المؤرخ عبد الحميد زوزو.

خطة الدراسة:

انطلاقا من الإشكالية والمادة العلمية المتوفرة عالجنا موضوعنا وفق خطة قوامها: مقدمة وثلاث فصول.

تناولنا في الفصل الأول: المعنون بـ "الإطار النظري العام للكتابة التاريخية الجزائرية" تضمن ثلاثة مباحث؛ المبحث الأول: عرضنا فيه مفهوم الكتابة التاريخية والسياق التاريخي لظهورها في الجزائر. أما المبحث الثاني: مميزات الكتابة التاريخية الجزائرية في فترة الاستعمار وفترة ما بعد الاستعمار. والمبحث الثالث: صعوبات الكتابة التاريخية في الجزائر ما بعد الاستعمار.

أما الفصل الثاني: تحت عنوان "التعريف بعبد الحميد زوزو وإنتاجه التاريخي" تضمن ثلاث مباحث؛ المبحث الأول عرضنا فيه المولد والنشأة ومساره العلمي والمهني لزوزو. أما المبحث الثاني: فقد جاء بعنوان عرض مؤلفاته التاريخية؛ تناولنا فيه سبعة مؤلفات لعبد الحميد زوزو قمنا بترتيبها زمنيا بناء على سنة النشر الأولى لكل إصدار وهي كالتالي: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 – 1900) م، ثورة بوعمامة (1881 – 1883) م، كتاب ثورة الأوراس 1879 إبان الاحتلال الفرنسي (1937– 1939) م، مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشال، محطات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة، وأخيرا الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين (1914 – 1939) م. أما المبحث الثالث: بعنوان المواضيع والقضايا التي تناولها.

أما الفصل الثالث وهو الأخير: جاء بعنوان "ثورة الأوراس 1879 كدلالة لاهتمام عبد الحميد زوزو بالتاريخ المحلي" تضمن مبحثين؛ المبحث الأول تطرقنا فيه الى الدراسة الظاهرية للكتاب. أما المبحث الثاني: فقد عنوناه بالدراسة الباطنية للكتاب حيث قمنا بتلخيص محتوى الكتاب وذكرنا المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الكاتب، ثم تحدثنا عن منهجه وأسلوب كتابة ثورة الأوراس، كما تطرقنا إلى أهمية وأهداف الكتاب و قيمة للكتاب من خلال دراستنا له، ثم نقد الكتاب.

صعوبات الدراسة:

من الطبيعي أن يواجه أي باحث جملة من الصعوبات أثناء إنجاز عمله العلمي وقد واجهتنا أيضا بعض الصعوبات خلال مراحل هذا العمل نذكر منها:

- ✓ قلة المصادر العلمية التي تناولت المؤرخ "عبد الحميد زوزو"، بل تكاد تكون منعدمة تماما
- ✓ صعوبة في التواصل مع المؤرخ "عبد الحميد زوزو" أو أحد أقربائه أو أصدقائه.

رغم ما واجهناه من صعوبات، فقد وفقنا الله في النهاية إلى إخراج هذا العمل.

الفصل الأول: الإطار النظري العام للكتابة التاريخية الجزائرية

المبحث الأول: مفهوم الكتابة التاريخية والسياق التاريخي لظهورها في الجزائر

1. مفهوم الكتابة التاريخية

2. السياق التاريخي لظهورها في الجزائر

- ✓ **الكتابة التاريخية خلال الفترة الاستعمارية**
- ✓ **الكتابة التاريخية ما بعد الاستعمار**

المبحث الثاني: مميزات الكتابة التاريخية الجزائرية

1. مميزات الكتابة التاريخية الجزائرية في فترة الاستعمار

2. مميزات الكتابة التاريخية الجزائرية في فترة ما بعد الاستقلال

المبحث الثالث: صعوبات الكتابة التاريخية في الجزائر ما بعد الاستقلال.

يعد الاهتمام بالكتابة التاريخية في الجزائر خطوة أساسية لفهم تطور البحث التاريخي الوطني ومساره عبر مختلف المراحل التي مر بها المجتمع الجزائري فقد تأثرت الدراسات التاريخية بالظروف السياسية والفكرية التي أحاطت بها، الأمر الذي انعكس على طبيعة موضوعاتها واتجاهاتها ومن خلال تتبع هذا المسار، يمكن الوقوف على العوامل التي أسهمت في تشكيلها، والصعوبات التي واجهتها، والخصائص التي ميزتها.

وفي هذا الفصل سنتناول مفهوم الكتابة التاريخية، ثم نعرض السياق التاريخي لظهورها في الجزائر، كما نتطرق إلى أهم المميزات التي اتسمت بها، مع أبرز صعوبات التي واجهتها.

المبحث الأول: مفهوم الكتابة التاريخية والسياق التاريخي لظهورها في الجزائر

1/ مفهوم الكتابة التاريخية

يرى أبو القاسم سعد الله[1] في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، وتحديدا في إشكالية الكتابة التاريخية أن الكتابة التاريخية تعد مسار متجدد يساهم في كل جيل حسب مستوى وعيه وقدراته الفكرية، وبما يتوفر لديه من وثائق ومعطيات إلى جانب ما تفرضه المستجدات الحضارية المحيطة مما يجعل قراءة الماضي تختلف وتتطور من زمن إلى آخر(أبو القاسم ،1996 ، صفحة 7)

إضافة إلى أنها الجهد الذي يبذله المؤرخ في انتقاء وتسجيل ما يراه جديرا من معلومات تتعلق بمختلف الجوانب السياسية والحضارية ليقدم صورة دقيقة عن أحداث الماضي ووقائعه (فريدة ق، 2022 ص 9) حيث إنها لم تنشأ من فراغ بل كانت نتيجة تأثيرات فكرية خارجية ومحلية، فتأثر المثقفون بالأفكار النهضوية القادمة من تونس والمغرب والمشرق العربي وانتقلت اليهم عبر الصحافة والزيارات والمراسلات (خليفي، 2015، صفحة 1) .

شهدت الكتابة التاريخية في الجزائر تحول جوهري مع نهاية الحرب العالمية الأولى، فقد بدأ المؤرخون الجزائريون أمثال مبارك الميلي[2] وتوفيق المدني ينظرون للتاريخ ليس كمجرد سرد للأحداث بل كأداة لفهم ماضي الأمة وإعادة بناء الهوية الوطنية بعد سنوات التغييب الثقافي الذي فرضه الاستعمار الفرنسي، وفي سياق هذا التحول الجذري، أصبحت الكتابة التاريخية أداة سياسية

[1] أبو قاسم سعد الله (1930-2013) مؤرخ وأكاديمي جزائري، يعد من رواد الكتابة التاريخية الجزائرية المعاصرة، اهتم بتاريخ الجزائر الحديث والحركة الوطنية، له اسهامات علمية بارزة من أشهرها موسوعة تاريخ الجزائر الثقافي.

[2] مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني من أبرز مؤرخي الحركة الحركة الوطنية على اثبات الذات الوطنية والرد على الأطروحات الاستعمارية.

وثقافية فاعلة، إذ تساهم في رفع الوعي الوطني وتصحيح الرؤى المغلوطة التي حاول الاستعمار الفرنسي ترسيخها لدى الشعب الجزائري (خليفي، 2015، صفحة 4).

لم ينظر أبو القاسم سعد الله إلى الكتابة التاريخية كمجرد سرد للأحداث بل ربطها بالوعي المنهجي والانتاج الحضاري على الدراسات الحديثة. فالمؤرخ عنده مطالب باستيعاب المنهج التاريخي المعاصر والاستفادة من العلوم الإنسانية المستندة، وهو ما يمنح انتاج طابعا علميا متميزا (مزرعي، 2019، صفحة 348).

وإذ كان أبو القاسم يعد من مؤسسي المدرسة التاريخية الجزائرية لما بعد الاستقلال، فقد أولى اهتماما كبيرا بإعادة كتابة التاريخ الوطني، وهو ما يتجلى في قوله:

"**قلمي لا تهدأ له بال ولا يستقر له حال... فالكتابة عندي هي هوائي وهي دائي هي غذائي، وهي هوائي، فإذا كتبت رضيت عن نفسي وإذا لم أكتب سخطت عنها، ومر اليوم كأنه سرق من عمري**" (خالد، المؤرخ أبو القاسم سعد الله ومنهجه في كتابة التاريخ، 2016، صفحة 78).

وفي المقابل يرى أحمد توفيق المدني الذي لعب دورا في مواجهة التشوه الاستعماري أن الكتابة التاريخية ترتكز على النزاهة والموضوعية الكاملة، فالمؤرخ وفق المدني يجب أن يكون محايدا ويعتمد على دراسة دقيقة للوثائق والمستندات، وأن يستجوب الحقائق دون انحياز أو تأثر بالعواطف أو المصالح الشخصية (خليفي، 2015، صفحة 1).

وبعيدا عن الجزائرين نجد تعريفا آخر عند بعض الكتاب الأمريكيين ومنهم هاري إلمر بارنز[1] الذي عرف الكتابة التاريخية على أنها باقي الأشكال الثقافية، فهي ليست معطى ثابت بل هي في الحقيقة نتاج تاريخي تراكمي (بارنز، د.ت، صفحة 11).

[1] هاري إلمر بارنز هو: مؤرخ وعالم اجتماع أمريكي ولد سنة 1889 وتوفي سنة 1968، ويعد من الأسماء البارزة في الكتابة التاريخية الغربية خلال القرن العشرين.

من خلال ما تم عرضه سابقا نستنتج أن:

الكتابة التاريخية ليست نشاطا وصفيا يقتصر على سرد الأحداث الماضية، بل هي عملية ومنهجية تقوم على البحث والتحليل والنقد، وتتأثر بالسياق الفكري والحضاري الذي تنتج فيه فهي تعكس مستوى وعي المؤرخ وأدواته المعرفية، كما تعبر عن حاجات المجتمع في فهم ماضيه واعادة تفسيره.

بعد ان عالجنا في المطلب الأول مفهوم الكتابة التاريخية، من خلال أبرز أبعادها المنهجية والفكرية، وبيان اختلاف الرؤى حولها بين من يعتبرها مسارا علميا متجددا مرتبطا بتطور الوعي والمنهج، ومن يركز على بعدها الموضوعي القائم على الالتزام بالوثيقة والنزاهة العلمية، فإننا سننتقل في المطلب الثاني إلى دراسة السياق التاريخي لظهورها في الجزائر بالتركيز على العوامل التي أسهمت في نشأتها وتطورها.

2/ السياق التاريخي لظهور الكتابة التاريخية في الجزائر

أ- الكتابة التاريخية خلال الفترة الاستعمارية

تعد إعادة الاعتبار للتاريخ الوطني من أبرز المهام العلمية والثقافية خاصة بعدما تعرض له من تشويه ممنهج ومتعمد من طرف المستعمر الفرنسي الذي سعى إلى طمس معالم الهوية الجزائرية وتزييف الوقائع التاريخية بما يخدم مشروعه الاستعماري، ومن هذا المنطلق تبرز أهمية إعادة قراءة التاريخ برواية موضوعية تعتمد على المصادر الوطنية وتعيد إبراز حقيقة الأحداث والشخصيات (خليفي، 2015، صفحة 1).

لقد سعى الاستعمار الفرنسي إلى فرض تغيير الذاكرة الجماعية الجزائرية عبر سياسة تعليمية ممنهجة تقوم على تدريس التاريخ الفرنسي فقط وقطع الصلة بين الجزائريين وجذورهم التاريخية

وبذلك يتم إبعاد الأجيال عن معرفتهم بتاريخهم وهويتهم وإخفاء معالم مقوماتهم وثقافتهم في محاولة لتهميش الوعي الوطني وإضعاف الروابط بين الشعب وماضيه (خليفي، 2015، صفحة 4).

وبذلك تعرض التاريخ الجزائري لمحاولات طمس وتشويه ممنهجة من قبل المدرسة الاستعمارية التي أرادت أن تفرض أيديولوجيتها وتقطع الجزائريين عن هويتهم فالمؤرخون الفرنسيون، كتبوا تاريخنا بعين المستعمر يركز على ما يخدم مصالحهم ويقلل من مقاومة الشعب وثقافته العميقة (أزواد، 2021، صفحة 419).

سعى الاستعمار الفرنسي للقضاء على كيان الجزائريين وسيادتهم ولم يكتفِ بالسيطرة على الأراضي، بل استهدف الإنسان محاولا قتل روحه الوطنية فقد عمل على تفكيك مقومات المجتمع الجزائري وضرب رموزه الثقافية وطمس ذاكرته الجماعية (أزواد، 2021، صفحة 419)، ومن بين القضايا الجوهرية التي طالها التزييف والتشويه بشكل واضح مسألتا السيادة والوطنية حيث تعمدت الكتابات الاستعمارية تصوير كعنصر لا يملك ارادة ولا تاريخا وأبرزت الحاجة الملحة لإعادة الاعتبار لهاتين القضيتين من منظور وطني صادق (أزواد، 2021، صفحة 419).

فرغم العلاقة الوثيقة التي جمعت بين النزعة الوطنية والنزعة الدينية في المقاومة المسلحة إلا أن المؤرخين الفرنسيين تجاهلوا هذا الترابط المتين وصوروا تلك المقاومات على انها معزولة يقودها مرابطون متعصبون في محاولة لتفريغها من بعدها الوطني الحقيقي غير أن المؤرخين تصدوا لهذا الطرح (أزواد، 2021، صفحة 423) من خلال إعادة بناء الشخصية الجزائرية وفق رواية وطنية مع العمل على تصحيح الصور المشوهة للتاريخ الجزائري والإفريقي التي شوهتها الكتابات الكولونيالية (بوعقادة، 2022، صفحة 671)، وفي سياق هذا الكلام أنتجت مدرسة التاريخ الفرنسي مئات المؤلفات والدراسات حول الجزائر لكنها لم تكن مجرد توثيق للتاريخ بل

كانت عملية تزوير ممنهجة للحقائق وقللت من مقاومة شعبها وإنجازاته (أزواد، 2021، صفحة 419).

وخلال هذه الفترة، يمكننا تقسيم هذه الكتابات إلى مرحلتين:

1. مرحلة كتابات الضباط العسكريين 1830 – 1880.

2. مرحلة كتابات الجامعيين 1880 – 1962.

1) مرحلة كتابات الضباط العسكريين 1830 – 1880:

أطلق المؤرخ الفرنسي ستيفان غزال على هذا العهد اسم "المدرسة الجزائرية القديمة" في كتابة التاريخ تلك الكتابات التي أنجزها الضباط العسكريون الفرنسيون(أبو القاسم ، 2007 ، الصفحات 19–20) والتي ظهرت في سياق التوسع الاستعماري في الجزائر، فقد اهتم هؤلاء الضباط بدراسة مختلف جوانب المجتمع الجزائري أمثال "كاريت"، و"بيلسي"، وهانوت"، و"ديلامار" وغيرهم، فكتبوا عن تاريخه السياسي وأوضاعه الاقتصادية وتنظيماته الإدارية والاجتماعية، فقد ركزوا في مؤلفاتهم على دراسة القبائل واللهجات والعادات والشخصيات التاريخية مثل الأمير عبد القادر وبومعزة وبوبغلة، وقد اعتمد الضباط العسكريون في كتاباتهم على مصادر متعددة منها الروايات الشفوية والوثائق المحلية، وعقود الملكية إضافة إلى الملاحظات الميدانية التي جمعوها أثناء تأدية مهامهم، غير أن هذه الكتابات لم تكن ذات طابع علمي محض بل جاءت مرتبطة بالاهداف الاستعمارية، ولذلك شكلت كتابات الضباط العسكريين أحد الركائز التي قامت عليها الدراسات الكولونيالية في الجزائر (هجالة، 2024، صفحة 2).

2) مرحلة كتابات الجامعيين 1880 – 1962:

وبتاسيس جامعة الجزائر يبدأ عهد جديد من كتابة تاريخ الجزائر عند الفرنسيين (أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، 2007، صفحة 23) ، شهدت الكتابة التاريخية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية تطورا ملحوظاً خاصة بعد تأسيس جامعة الجزائر من طرف الفرنسيين حين صدر قانون 1880 لتنظيم التعليم العالي وفي سنة 1909 أصبحت تضم عدة مدارس عليا منها مدرسة الآداب والطب والحقوق، وقد لعبت مدرسة الآداب العليا دورا مهما في تنشيط حركة التدريس والبحث التاريخي خاصة في مجال تاريخ المغرب العربي، وفي هذا الإطار تخصص المؤرخ "ستيفان غزال Stéphane Gsell"[1] في دراسته تاريخ شمال إفريقيا القديم، بينما اهتم "مارسيل إيمريت Marcel Emerit"[2] بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية في حين ركز " شارل أندريه جوليان Charles–André Julien"[3] على تاريخ شمال إفريقيا خاصة تاريخ الاهالي.

ومن جهة أخرى شهدت الفترة ما بين الحربين العالميتين ظهور مدرسة تاريخية جديدة عرفت باسم مدرسة الحوليات سنة 1929، وكان من أبرز روادها "لوسيان فيفر Lucien Febvre" و "مارك بلوخ Marc Bloch" ثم "فرناند بروديل Fernand Braudel"، وقد دعت هذه المدرسة إلى تجاوز التاريخ التقليدي القائم على السرد السياسي، و الاهتمام بتاريخ شامل يدرس مختلف الجوانب الاقتصادية و الاجتماعية ، مع الاعتماد على التحليل واستعمال رسائل علمية والكتابة بلغة واضحة (هجالة، 2024، صفحة 4).

كتابات الجزائريين 1880 – 1962:

[1] ستيفان غزال: هو مؤرخ فرنسي متخصص في شمال إفريقيا والجزائر القديمة، عرف بأبحاثه حول الحضارات القديمة في الجزائر وفترة ما قبل الاستعمار الفرنسي، ولد في 1864 وتوفي عام 1932.

[2] مارسيل إيمريت: هو مؤرخ فرنسي له أعمال مهمة في دراسة تاريخ الجزائر في زمن الأمير عبد القادر خلال فترة المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي، ولد سنة 1899 في فرنسا وتوفي عام 1985.

[3] شارل أندريه جوليان: هو مؤرخ فرنسي مشهور بدراساته عن تاريخ الجزائر وشمال إفريقيا خاصة في فترة الاستعمار الفرنسي.

وتحت تأثير الأسلوب الأدبي في النخبة الجزائرية برزت أقلام سعت إلى كتابة وتدوين تاريخ بلادها وإثبات هويتها، فكانت اللغة العربية الأداة التي مكنت المفكرين والباحثين عبر مختلف العصور من التعبير عن أفكارهم وترسيخ انتمائهم الثقافي، ومن خلال ذلك عمل هؤلاء على إبراز تاريخ الجزائر والمحافظة على تراثها ردا على كل من حاول إنكار حقائق هذا التاريخ (هجالة، 2024، صفحة 4).

وكنتيجة مباشرة للسياسة الاستعمارية ومحاولة طمس الهوية الوطنية ظهرت كتابات جزائرية هاوية بالتاريخ كرد فعل على الطرح الاستعماري، حيث سعى أصحابها إلى إبراز تاريخ الجزائر والدفاع عنه، ومن أبرز هذه المحاولات كتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" (1880 – 1945) الجزء الأول والثاني والثالث لمبارك الميلي[1]، وكتاب "هذه هي الجزائر" لمحمد توفيق المدني (1898 – 1983) طبعة 1956 والذي تميز أسلوبه بالطابع الأدبي الجميل، كما ألف عبد الرحمن الجيلالي[2] (1908 – 2010) كتابه الشهير "تاريخ الجزائر العام" سنة 1953 الذي يعد من أهم المؤلفات التي تناولت تاريخ الجزائر بإسهاب، وفي السياق نفسه كتب مصطفى الأشرف (1917 – 2007) مؤلفه "الجزائر الأمة والمجتمع" سنة 1965م، كما تناول مولود قاسم نايت بلقاسم[3] شخصية الملك يوغرطة بعمق تحليلي مميز ورغم اعتبار هؤلاء من المؤرخين الهواة إلا أن كتاباتهم.

شكلت مبادرة وطنية هامة حيث قدمت صورة حقيقية صادقة لتاريخ الجزائر وأسهمت في ترسيخ الوعي الوطني وتعزيز الانتماء من خلال مواجهة الطرح الاستعماري والدفاع عن الهوية

[1] مبارك الميلي: هو مؤرخ جزائري واحد من رواد كتابة التاريخ الوطني عاش أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن 20 ركز على تاريخ الجزائر في القديم والحديث سعى الى تقديم تاريخ الجزائر من منظور جزائري بعيدا عن الرواية الاستعمارية.
[2] عبد الرحمان الجيلالي: مؤرخ جزائري في التاريخ الجزائري العام والحديث ساهم في ترسيخ التاريخ الوطني ويعد من المؤرخين التقليديين.
[3] مولود قاسم نايت بلقاسم: هو مفكر ومثقف وسياسي جزائري بارز يعد من أهم الشخصيات الفكرية في الجزائر بعد الاستقلال خاصة في مجال الفكر الاسلامي والهوية الثقافية الجزائرية.

الوطنية، وقد اعتمد هؤلاء الكتاب على تقديم الأدلة التاريخية والحجج لإثبات حقائق التاريخ الوطني (هجالة، 2024، صفحة 5).

رغم الجهود التي بذلها المؤرخون والكتاب الجزائريون في فترة الاستعمار لإبراز تاريخ الجزائر وهويتها، إلا أن هذه الكتابات لم تخل من جملة من التحديات التي فرضها الواقع الاستعماري وهي كالتالي:

1) **سياسة الإدماج ومحاربة اللغة العربية والدين الإسلامي:**

لقد شكلت سياسة الإدماج التي فرضتها فرنسا في الجزائر تحديا جوهريا للكتابة التاريخية الوطنية خلال الحقبة الاستعمارية، حيث إن هذه السياسة لم تكن مجرد إطار للتعليم بل كانت جزءا من محاولة شاملة لتغيير الهوية الثقافية والدينية للمجتمع الجزائري من خلال تمشيط الحركة وتشويه المؤسسات الدينية، سعت فرنسا إلى محو الهوية الاسلامية وفرض قيم حضارية جديدة من خلال تعليم الأطفال مبادئ مغايرة عن تلك التي تربوا عليها (حسون، 2016، صفحة 235).

سعى الكاردينال لافيجري[1] خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر إلى تعزيز الهيمنة الثقافية والدينية عبر التركيز على دور المرأة في المجتمع، فقد دعم إنشاء فرق للنشر التعليم المسيحي باعتبارها اداة لنقل القيم الفرنسية والمسيحية الى الأجيال الجديدة، هذا النشاط لم يكن مجرد تعليم بل كان جزءا من سياسة أوسع للسيطرة على المجتمع الجزائري، إذ استغلت الظروف المادية والمعيشية للقبائل لتقديم المساعدات تحت غطاء تعليمي وديني ماجعل الكنيسة وسيلة أساسية لخدمة أهداف الاستعمار، ومن خلال هذا المنهج حاولت الإدارة الفرنسية زرع الولاء للقيم الفرنسية والسيطرة

[1] الكاردينال لافيجيري: ولد عام 1825 عين اساقفة الجزائر عام 1867م ساهم في النشاط التبشيري الكاثوليكي في شمال افريقيا لعب دور هاما في الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي.

على المجتمع من الداخل مستغلة التعليم و الدين لضمان إدماج ثقافي وإضعاف الهوية الإسلامية والعربية للجزائريين (زوينة، 2023، الصفحات 244-245).

شكلت سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر منذ عام 1830 تحديا كبيرا أمام الكتابة التاريخية، إذ استهدفت اللغة العربية والدين الإسلامي باعتبارهما العمود الفقري للهوية الوطنية والثقافة الجزائرية، فقد عمد المحتل إلى غلق المدارس والكتاتيب والزوايا وفرض قيود صارمة على التعليم باللغة العربية وحدد شروطها وجعل تدريسها محدوداً. كما أجبرت المؤسسات التعليمية على التكيف مع الثقافة الفرنسية وفرض على المعلميين ولاء تام للإدارة الاستعمارية بينما سعت السلطات الفرنسية إلى نشر اللغة الفرنسية تدريجيا بين الاهالي بهدف خلق أجيال فرنسية الهوية والثقافة (لحسن، 2005، الصفحات 1-3).

خلال فترة الاحتلال الفرنسي واجهت الكتابة التاريخية في الجزائر قيودا كبيرة نتيجة الرقابة الاستعمارية ومحدودية حرية التأليف، بينما كان إنتاج النصوص المكتوبة نادرا حيث أصبحت الوسيلة الشفوية هي محور التعليم الديني ونقل المعرفة (القاسم س.، 1998، صفحة 9).

سياسة الاحتلال الفرنسي كانت تهدف إلى محو اللغة العربية من خلال جعل الفرنسية اللغة الرسمية في الإدارة والتعليم، مع إبقاء اللغة العربية في حدود ضيقة للتعامل المحلي هذا الحد بين استخدام العربية أثر مباشرة على إنتاج الكتابة التاريخية والأدبية، إذ كانت العربية وسيلة الكتابة الأساسية، فضعف مكانتها شكل تحدياً أمام المؤرخين (القاسم س.، 1998، صفحة 8) إضافة إلى ضعف القدرات الادبية لدى معظم الكتاب، إذ كان أسلوبهم متوسط الثقافة ولا يسمح بإنتاج نصوص لغوية أو متميزة، هذا الضعف شكل تحدياً أمام الكتابة التاريخية الجزائرية (القاسم س.، 1998، صفحة 14).

وبعد استعراض ملامح الكتابة التاريخية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، يجدر بنا الانتقال إلى مرحلة جديدة تمثلت في الكتابات التاريخية بعد الاستقلال والتي سعت إلى إعادة قراءة التاريخ الوطني من منظور جزائري.

1) الكتابة التاريخية الجزائرية ما بعد الاستقلال:

رغم قساوة الظروف والعراقيل التي كانت تعترض طريق كل عمل ابداعي إلا أن الاهتمام بالكتابة التاريخية في الجزائر خلال الفترة المعاصرة لم يتوقف (بوعقادة، 2022، صفحة 669)، فعمل المؤرخون الجزائريون على إعادة قراءة أحداث الثورة الجزائرية في سياقها الحقيقي مؤكدين أن الثورة لم تكن مجرد رد فعل عابر بل مشروع تحرري (أزواد، 2021، صفحة 426)، إضافة إلى أنه يمكننا الجزم بأن وضع اللبنات الأولى لتأسيس المدرسة التاريخية الجزائرية تزامن مع بدايات العقد الثاني من القرن العشرين، وذلك ما يقارب قرناً من الاحتلال الفرنسي وما رافقه من محاولات ممنهجة لطمس الهوية الوطنية، وضرب الشخصية الجزائرية، حيث نهضت نخبة من أبناء الوطن لاحياء الأمة واستحضار مقوماتها عبر إعادة كتابة تاريخها وتدوينه مآثرها (بوعقادة، 2022، صفحة 670)، ومثال على ذلك المؤرخ "محمد العربي الزبيري" رد على مزاعم الكتابات الفرنسية التي زيفت الثورة الجزائرية من مضمونها الفكري فتبين أن تنظيم الثورة ونجاحها دليل على إمتلاكها منظومة فكرية وطنية (أزواد، 2021، صفحة 426)، كتب المؤرخ محمد العربي الزبيري كتابه "تاريخ الجزائر المعاصر" (1962-1954)، الطبعة الأولى 1999م، الذي تناول فيه مرحلة الاحتلال الفرنسي والثورة التحريرية وضمنه عرضاً نقدياً لبعض المؤرخين الفرنسيين المعاصرين خاصة "Benjamin Stora" بنجامين ستورا[1]: حيث يرى الزبيري أن " Benjamin Stora" يفتقد إلى الموضوعية في تناوله لتاريخ الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

[1] بنجامين ستورا: هو مؤرخ فرنسي متخصص في دراساته حول تاريخ الجزائر المعاصر وخاصة فترة الاستعمار الفرنسي وثورة التحرير، ولد عام 1950، يعتبر أبرز الباحثين في تاريخ الثورة التحريرية.

كما انتقد الزبيري استعمال "Stora Benjamin" ستورا بنجامين لبعض مصطلحات المدرسة الاستعمارية مثل وصف الثورة بالأحداث أو "حرب استقلال"، في حين يؤكد المؤرخون الجزائريون ضمن منظور المدرسة الوطنية أن ما حدث هو ثورة تحريرية، وأن الوجود الفرنسي كان احتلالا استعماريا تميز بالعنف والإبادة، وعدم التكافؤ بين المستعمر والشعب الجزائري ومن هذا المنطلق شدد الزبيري على أن كتابة تاريخ الجزائر يجب أن تكون بأقلام أبنائها، لأن التاريخ غالبا ما يكتبه المنتصرون وبما أن الثورة حققت النصر فإنه لا ينبغي ترك مهمة كتابة تاريخها للآخرين لما قد يحمله ذلك من خطر تشويه الذاكرة الوطنية وإضعاف الهوية (هجالة، 2024، صفحة 8).

ولم نكتفي بذكر محمد العربي الزبيري فقط، فالكتابة التاريخية تنوعت عند المؤرخين الجزائريين فناخذ على سبيل المثال:

- محفوظ قداش:

يعد المؤرخ محفوظ قداش من أبرز المؤرخين الجزائريين الذين ساهموا في إثراء الكتابة التاريخية الوطنية حيث ألف عدة كتب قيمة من بينها:

"تاريخ حرب التحرير الجزائرية":

"Histoire de la guerre de libération algérienne" (1954 - 1962)

- تاريخ القومية في الجزائر: "Histoire du nationalisme algérien"1969 طبعة الأولى 1969.

و "الحياة السياسية في الجزائر(1919 - 1939)" الصادر سنة 1970م، " La vie Politique à Alger"

إضافة إلى كتاب "الجزائر في العصور القديمة"، سنة 1993م "L'Algérie dans les Temps anciens"

وكان قداش يعتبر أن التاريخ يمثل ذاكرة الشعوب ويميز بين التاريخ الأيديولوجي الذي يخدم توجهات معينة والتاريخ الصادق والحقيقي (هجالة، 2024، صفحة 6).

بعد حديثنا عن محفوظ قداش ننتقل إلى يحيى بوعزيز لمتابعة دراسة التاريخ الجزائري:

- **يحيى بوعزيز:**

ركزت أعمال المؤرخ يحيى بوعزيز منذ ستينات القرن العشرين على دراسة تاريخ المقاومة الجزائرية خلال القرن التاسع عشر حيث نشر العديد من المقالات والبحوث في الصحف والمجلات الجزائرية خاصة مجلة الأصالة والثقافة وأول نوفمبر وجريدة الشعب وقد كشف من خلالها صفحات مشرقة من الكفاح الوطني مسلطاً الضوء على شخصيات بارزة مثل الأمير عبد القادر وأحمد باي والشيخ بوزيان والشيخ بوعمامة وغيرهم. وقد جمعت بعض هذه الدراسات في كتابه "ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر وفي الثمانينات وسع اهتمامه ليشمل تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ثم اقترب في التسعينات من تاريخ الثورة التحريرية حيث الف كتاب ثورات القرن العشرين، تميز منهجه بالاعتماد على الوثائق والمخطوطات التاريخية كمصادر أساسية إلى جانب اهتمامه بتاريخ إفريقيا والتاريخ الأوربي الحديث (هجالة، 2024، صفحة 7).

ومن يحيى بوعزيز ننتقل إلى جمال قنان لاستكمال دراسة الكتابة التاريخية.

امتدت مسيرة الأستاذ جمال قنان في جامعة الجزائر لما يقارب خمسين سنة من العطاء المتواصل في مجال التدريس والتأطير العلمي حيث أثرى المكتبة التاريخية بعدد معتبر من

المؤلفات والدراسات التي عالجت قضايا في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، وتميزت أعماله بالأصالة والسبق في تناول بعض الموضوعات ومن أبرز مؤلفاته:

- ✓ معاهدات الجزائر مع فرنسا 1830 – 1962.
- ✓ العلاقات الجزائرية الفرنسية 1830 – 1962.
- ✓ قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.
- ✓ نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1830 – 1962).

كما نشر مجموعة من المقالات العلمية في مختلف القضايا التاريخية عالج من خلالها إشكالات منهجية وفكرية تتعلق بكتابة تاريخ الجزائر ومن أبرز هذه المقالات دراسته الموسومة بـ: مدرسة التاريخ الاستعماري بين الأيديولوجية والموضوعية: حول بعض قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، والتي نشرت في مجلة الدراسات التاريخية أين قدم نقدا للمدرسة الاستعمارية فأثار تساؤلاً منهجيا حول مدى دقة هذا المصطلح، فإذا كان هناك ما يعرف بمدرسة التاريخ الاستعماري فهي مجرد افتراض لا أساس له من الواقع، خاصة إذا انطلقنا من فكرة أن البحث التاريخي هو بحث علمي ومن المفروض أن يكون محايدا لا يحمل اي هوية او توجه، غير ان هذا الطرح في نظره يتجاهل حقيقة واضحة وهي أن الكتابة التاريخية ليست منفصلة عن الظروف التي ظهرت فيها بل تتأثر بالسياق الاستعماري الذي كان (بيتور، 2022، الصفحات 300–301) يسعى الى فرض رؤيته الخاصة للتاريخ لذلك فإنه لايرى نفسه اليوم في حاجة إلى إثبات وجود هذه المدرسة بقدر ما يؤكد أنها حقيقة كاملة وأن نكرانها أو التقليل من شأنها لا يخدم الموضوعية ولا ينسجم مع النزاهة العلمية خاصة وأن آثارها واضحة في العديد من الكتابات التي حاولت تقديم التاريخ من منظور يخدم المصالح الاستعمارية (قنان، 1988، صفحة 129).

تعد الصفة البارزة التي ميزت مدرسة التاريخ الاستعماري هو طابعها الأيديولوجي الذي كان حاضرا بقوة، بل ويمكن القول أنه طغى على طابعها العلمي ضمن نشاتها لم تكن هذه المدرسة مجرد محاولة علمية بريئة لدراسة الماضي بقدر ما كانت مرتبطة بخلفيات فكرية وتوجهات تخدم الرؤية الاستعمارية وهو ما جعل الطابع الأيديولوجي يفرض نفسه على أغلب أعمالها ورافق مسيرتها عبر الزمن وامتد تأثيره على امتداد أربعة أجيال الأمر الذي يعكس مدى تجذر هذا التوجه في كتاباتها واستمراره ضمن نفس المنظور (قنان، 1988، صفحة 130).

ويعد من الضروري توضيح ما يقصد بـ "الأيديولوجية" التي وصفت بها مدرسة التاريخ الاستعماري لان هذا المصطلح في حد ذاته يحمل نوعاً من الالتباس والغموض قد لا يساعد على فهم المقصود منه بشكل دقيق، لذلك فإن استعماله لهذا المفهوم لا يأتي بمعناه العام أو الفضفاض وإنما يقصد به مدلولا محددا يرتبط بطبيعة التوجه الذي دعم هذه الكتابات (قنان، 1988، صفحة 130)، فقبل أن يشير إلى بعض الملاحظات التي تتعلق بجوانب نقص في منهج عمل هذه المدرسة أراد أن يوضح بأنه لا ينكر القيمة التي قدمتها بعض أعمالها بشكل مطلق فليس الهدف من تسجيل هذه السلبيات هو التقليل من شأنها أو نفي اهميتها كليا وإنما سعى من خلال ذلك إلى لفت الانتباه والتأكيد على ضرورة تجاوز المنهج والآفاق التي رسمتها للدراسات التاريخية في البلاد خاصة وأنها قد بقيت محكومة بإطار معين حدد توجهاتها، ومع ذلك يمكن القول أنها تركت رصيداً معتبرا من الدراسات والأبحاث لاسيما تلك التي تناولت موضوع الاستيطان الأوروبي في الجزائر وبدايات الاحتلال (قنان، 1988، صفحة 136).

بعد دراسة جمال قنان نستكمل المسار التاريخي مع ابو قاسم سعد الله.

أبو القاسم سعد الله:

يعد من أكثر المؤرخين الجزائريين إنتاجا إذ نشر أكثر من 100 مقال علمي وألف ما يفوق 40 كتابا في التاريخ والتراث والترجمة (هجالة، 2024، صفحة 8)، إن سعد الله هو نتاج المدرسة الوطنية الجزائرية التي تأسست بكامل أطرها بعد الاستقلال مواجهة للمدرسة الفرنسية، إذ كان الصراع في جوهره صراعاً بين أيديولوجيتين: أيديولوجية فرنسية إستعمارية وأخرى عربية إسلامية تسعى إلى إعادة الاعتبار للذات الوطنية (حكيم س.، 2016، صفحة 67) فهي مدرسة أستاذية قبل أن تكون مدرسة تاريخية علمية تستند في مفاهيمها إلى تمحيص وتحليل الوقائع على اعتبارا أن جل المتخرجين من أقسام التاريخ تلقوا دروسا وتوجها وتحليلا من قبل المرحوم سعد الله (حكيم س.، 2016، صفحة 65)ونذكر على سبيل المثال عبد الحميد زوزو.

بدأ نتاج المدرسة التاريخية نهاية الحرب العالمية الثانية وتبلورت بشكل خاص وأوضح خلال الخمسينات مع تطور الأحداث وانتشار المد التحرري في العالم وبعد الاستقلال بالجزائر ساهمت هذه المدرسة بقسط وافر من الإنتاج التاريخي خاصة ما تعلق بالفترة العثمانية، كما شهدت تخرج عدد معتبر من الجزائريين من مختلف الجامعات والتحاقهم بسلك التدريس مثل عبد الحميد زوزو ومشاركتهم في حركة التأليف التاريخي (سعيدوني، 2009، صفحة 82)، وقدم مثل أبو القاسم سعد الله مرحلة بارزة في تطوير الكتابة التاريخية الجزائرية من خلال ارسائه اسس المنهج التاريخي الوطني القائم على إعادة كتابة تاريخ الجزائر وفق رؤية علمية موضوعية والتصدي لمختلف الأطروحات الاستعمارية ولم تتوقف هذه الجهود عند هذا الجيل بل تواصلت مع جيل آخر من المؤرخين الجزائريين الذين ساروا على نفس النهج ومن بينهم عبد الحميد زوزو الذي كان من المؤرخين الذين اهتموا بدراسة تاريخ المقاومة الشعبية حيث تاثر بالاتجاه التاريخي الوطني وساهم من خلال أعماله في تدعيم مسار الكتابة التاريخية الوطنية وتوسيع مجالاتها.

المبحث الثاني: مميزات الكتابة التاريخية الجزائرية.

تتميز الكتابة التاريخية بخصائص فريدة تجعلها عنصرا أساسيا في بناء المعرفة التاريخية وتوثيقها، وفي هذا المبحث سنتناول أهم مميزات الكتابة التاريخية التي تساهم في تقديم صورة واضحة ودقيقة لتاريخ الإنسان.

انقسمت هذه المميزات بدورها إلى مرحلتين:

أ) مميزات الكتابة التاريخية الجزائرية في فترة الاستعمار (1830 – 1962).

ب) مميزات الكتابة التاريخية الجزائرية في فترة ما بعد الاستقلال 1962.

أ) مميزات الكتابة التاريخية الجزائرية في فترة الاستعمار الفرنسي (1830 – 1962):

رغم سنوات القمع الاستعماري التي أثقلت أرض الجزائر لأكثر من قرن نجح فريق من المثقفين الجزائريين في تقديم رصيد لا يستهان به ساهم في دعم النهضة الوطنية وتعزيز الذاكرة التاريخية بكل جهد وصرامة ما تعكس حرصهم على الحفاظ على هويتنا (حسان، 2008، الصفحات 13–14)، حيث أن الطابع الغالب على الوثائق الاستعمارية كان أمنيا وعسكريا واستخباراتيا بامتياز بإنتاج مادي وهو مابين الكتابة التاريخية في تلك المرحلة لم تكن علمية بقدر ما كانت وظيفية تخدم مشروع الاستيطان وتدعم استمراره (حسان، 2008، صفحة 44) هذا الوضع دفع الكتابة التاريخية لاحقا إلى التميز بالطابع النقدي والرفض للروايات الاستعمارية حيث أصبح من مميزاتها الأساسية السعي إلى كشف خلفيات هذه الكتابات وفضح أهدافها الأيديولوجية (حسان، 2008، صفحة 38).

شهدت الكتابة التاريخية الجزائرية جهود مؤرخين عملوا في مواجهة الاستعمار حيث شكلت هذه الكتابة محاولة لحفظ الحقائق التاريخية نذكر على سبيل المثال كتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" لمبارك الميلي[1] وغيرهم من الكتابات الجزائرية فكانت لكتاباتهم دورا تربويا ووطنيا حيث لم تقتصر على نقل الأهداف بل حرصت على تعزيز الانتماء الوطني والاعتزاز بالهوية عبر تقديم التاريخ كحجة ودليل (هجالة، 2024، الصفحات 3-4) إضافة إلى ذلك نجد بعض المؤلفات التاريخية التي تتحدث عن التوعية كلمؤلفات الشيخ "محمد بن أطفيش"[2] 1914-1921 طبعة الاولى، لم تكن مجرد تدوين للأحداث بل كانت أداة استراتيجية لبناء الوعي الجماعي ومواجهة العدوان الاستعماري ويبرز ذلك بوضوح في مؤلفاته الرائدة مثل "تحفة أهل بريان" و "الرسالة الشافية في بعض أهل وادي ميزاب (هجالة، 2024، صفحة 3).

وعليه يمكننا القول إذا كانت الكتابة التاريخية خلال العهد الاستعماري قد جاءت في سياق يحدد الاطار الاستعماري، فإن الاستقلال فتح آفاقا جديدة تسمح بمراجعة تلك التجارب وإعادة إنتاج المعرفة التاريخية بأسلوب نقدي وطني، للانتقال بسلاسة سنحاول فيما يلي ابراز مميزات الكتابة التاريخية بعد الاستقلال:

[1] مبارك الميلي: هو عالم ومصلح جزائري عاش في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر وكان من رواد الإصلاح الديني والتربوي والثقافي في الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي ولد سنة 1896م وتوفي في 1945م.

[2] محمد بن اطفيش: هو عالم فقيه جزائري اباضي بارز و مصلح فكري ولد عام 1820م وتوفي عام 1914م يلقب بقطب الأئمة وهو من أبرز علماء الجزائر في القرن 19 و 20.

مميزات الكتابة التاريخية الجزائرية في فترة ما بعد الاستقلال (1962):

عرفت الكتابة التاريخية في الجزائر بعد الاستقلال (1962) نقلة نوعية على مستوى قواعدها المنهجية بالاضافة إلى توسيع آفاقها الفكرية والبحثية بما يعكس عمق التغيرات المعاصرة حيث اتجهت اهتمامات المؤرخين إلى إعادة بناء دلالات الماضي وفهمها ضمن أطرها الواسعة والمتعددة (الحفيظ، 2022، صفحة 12) إضافة إلى أنها أسهمت في إخراج البحث التاريخي من دائرة التخصص الضيق الذي كان حبيس المجالين السياسي والعسكري لتفتح آفاقا واسعة شملت جوانب اقتصادية واجتماعية وثقافية وفكرية لتكون دراسة التاريخ أكثر شمولية في فهم مختلف جوانب الحياة (الحفيظ، 2022، صفحة 15) وهو ما مكن المؤرخ الجزائري المعاصر من إعادة بناء الاحداث التاريخية (الحفيظ، 2022، الصفحات 13-14) فلذلك أصبحت الكتابة التاريخية أكثر انفتاحا على مناهج جديدة ومقاربات حديثة (الحفيظ، 2022، صفحة 14) فهي لا تأتي في قالب واحد مشترك بين جميع الأمم بل تشكل حسب خصوصية كل أمة وتجربتها التاريخية (لعشوري، 2023، صفحة 23).

يبذل المؤرخ جهودا علمية دقيقة في نقد المصادر التاريخية وتمحيصها ثم يعمل على تفسير المعطيات وتحليلها بموضوعية وصولا إلى استخلاص الاستنتاجات التي تمكنت من تحري الحقائق التاريخية (الحفيظ، 2022، صفحة 14)، فالمؤرخ الجزائري لا يرفض المصدر الاستعماري كليا بل يفحصه ويميز بين الوثائق الموثوق بها وما هو مشكوك به (ساحلي، 2002، صفحة 19) وفي سياق الحديث عن الجهود التاريخية المؤثرة يبرز اسم المؤرخ المهدي بوعبدلي[1] كواحد من الأعمدة الذين وضعوا أسس أساسية للمدرسة التاريخية الجزائرية الحديثة وتتجلى أهمية إسهاماته.

[1] محمد بوعبدلي: عالم وفقيه ومؤرخ جزائري بارز من أهم الأعمدة في النهضة التاريخية والثقافية بالجزائر الحديثة ولد عام 1907 وتوفي عام 1992.

في قدرته على استعادة المبادرة في التدوين التاريخي بعيدا من هيمنة الرؤية الكولونيالية (هجالة، 2024، صفحة 3):

وقد حاول الجيل الاول من مؤرخي المدرسة التاريخية الجزائرية وعلى رأسهم عبد الحميد زوزو وأبو القاسم سعد الله وغيرهم من المؤرخين الجزائريين كشف مغالطات مدرسة التاريخ الفرنسي حول مسألة السيادة الوطنية معتمدين على المنهج التاريخي الذي يرتكز على الاستشهاد بالوقائع والحقائق التاريخية المادية (أزواد، 2021، صفحة 421)، حيث تميزت الكتابة التاريخية عند سعد الله الذي يعد أستاذا لعبد الحميد زوزو بالجدية و بالصرامة العلمية مع الحرص الواضح على اعتماد أساليب دقيقة ووثائقية في معالجة البحوث التاريخية (محمد ب.، 2015، صفحة 52) كما أسهم في إثراء الكتابة التاريخية في الجزائر بفضل تنوع مؤلفاته وإنتاجه العلمي الكبير الذي جمع بين التاريخ والنقد والتراث الثقافي مما يعكس شمولية و عمق الكتابة التاريخية الجزائرية المعاصرة (هجالة، 2024، صفحة 8).

أولت الكتابة التاريخية المعاصرة اهتماما خاصا بمعالجة الاشكاليات في ميدان البحث التاريخي سعيا منها لمواكبة التحولات الفكرية والعلمية وتقييم إجابات موضوعية لجملة من تساؤلات عصرنا (الحفيظ، 2022، صفحة 14) حيث أصبحت الدراسات التاريخية المعاصرة تتبع حركة التاريخ بمختلف حقبه، مما يمكن المؤرخ من تكوين فهم عقلاني وشمولي قادر على استعاب امتداد الأحداث عبر اتساع المكان والزمان التاريخي (الحفيظ، 2022، صفحة 20).

وعلى الجانب الإيجابي تتميز المساهمة الجزائرية بمكانة واضحة في صفاتها وخصائصها، إذ هدفت الى تحرير الهمم وبعث الشعور الوطني في نفوس الجيل الناشئ، فالكتاب الجزائريون رغم أنهم استمدوا مادتهم البحثية من مصادر أوروبية وكتب عربية إلا أن جهودهم وجهت نحو الماضي بنفس القوة والإرادة التي تصدوا بها لتحديات الحاضر (سعيدوني، 2009، صفحة

47)، ولا يبعد ذلك عما أكده جمال قنان في وصفه للمدرسة التاريخية الجزائرية إذ يرى أنه من أولى مهامها الاسهام في دحض أطروحات المدرسة الاستعمارية وإبراز مآثر الشعب وأمجاده عبر التاريخ، والتأكيد على وجوده وحقه في أن يكون له تاريخ وماضي شأنه شأن باقي الشعوب (بولطيس، 2011، صفحة 317) غير أن هذه المدرسة استطاعت إلى حد ما سد بعض الثغرات وملئ بعض الفراغات التي يعاني منها التاريخ الجزائري في مختلف مراحله (سعيدوني، 2009، صفحة 83).

تمكنت الكتابة التاريخية الجزائرية عبر مسارها الطويل من تحقيق إنجازات هائلة في مجال المعرفة التاريخية فهي لم تكتف بجمع الأحداث وتوثيقها بل تجاوزت ذلك إلى تحليل الوقائع وربطها بسياقها الاجتماعي والسياسي والثقافي (طحلح، 2012، صفحة 6).

المبحث الثالث: صعوبات الكتابة التاريخية في الجزائر ما بعد الاستقلال

مع نهاية مرحلة الاستعمار وبداية الاستقلال، واجه المؤرخون الجزائريون مهمة صعبة تتمثل في إعادة بناء الذاكرة التاريخية للأمة وعليه في هذا السياق سوف نتحدث عن أهم الصعوبات التي واجهت الكتابة التاريخية الجزائرية في فترة الاستقلال:

من فترة الاستعمار هيمنة الدراسات والكتابات الكولونيالية على الإنتاج الفكري والتاريخي، مما جعل الأقلام الجزائرية مهمشة وفي ظل ذلك واجه المؤرخ الجزائري في فترة الاستقلال تراكمات من الأحكام الجاهزة[1] التي صاغها مؤرخون فرنسيون بهدف تشويه الماضي الوطني مما جعل مهمة إعادة كتابة التاريخ مزدوجة الصعوبة عملية في نقد المصادر ووطنية في مواجهة خطاب سياسي موجه (خليفي، 2015، صفحة 12) مما يؤدي إلى تأثير شخصية المؤرخ على المادة

[1] الأحكام الجاهزة: يعني أن هناك كمية كبيرة من التفسيرات والآراء والقرارات التي كتبها المؤرخون الفرنسيون خلال فترة الاستعمار وكانت هذه التفسيرات غالبا منحازة لصالح فرنسا.

التاريخية التي يقدمها فلكل مؤرخ لديه خلفية فكرية وإيدلوجية تؤثر في تفسيره للأحداث لذلك يجب على المؤرخ أن يسعى إلى التمييز بين الحقيقة والآراء الشخصية (فريدة د.، 2022، صفحة 11).

الابتعاد عن المنهج النقدي والتحليل فالمؤرخ الذي لا يعتمد هذا الاتجاه يعجز عن تحقيق إضافة علمية جديدة كما يفتقر في تقديم رؤية واقعية للمسار التاريخي (حسان، 2008، صفحة 7).

إن الذاكرة سواء كانت فردية أو جماعية لا تنقل الماضي كما هو بل تعيد بناءه بشكل جزئي وغير مكتمل، وهو ما يشكل إشكالية حقيقية أمام المؤرخ الجزائري فالاعتماد غير النقدي للذاكرة قد يؤدي إلى كتابة تاريخ غير دقيق، مما يفرض على الباحث التاريخي توخي الحذر عند التعامل مع الشهادات والذكريات خاصة في دراسة التاريخ الجزائري الحديث المرتبط بالثورة والتحرّرحيث تختلط الذاكرة بالتجربة الشخصية والعاطفية، مما يؤدي إلى الوصول للحقيقة التاريخية النسبية، فالحقيقة لا تدرك بشكل مطلق بل تتأثر بتفرد الحدث واختلاف وجهات النظر ونقد المصادر (فريدة د.، 2022، صفحة 12).

(كانت نسبة الشباب الفرنسيين المقبولين في المدارس 100% وأقل من 10% بالنسبة للأطفال الجزائريين) فهذه المعطيات تعكس السياسة التعليمية الإقصائية التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية، حيث تم تكريس نظام تعليمي مزدوج يخدم أبناء المعمرين بالدرجة الأولى، ويهمش الأغلبية الجزائرية، مما أدى إلى ضعف تكوين النخب الجزائرية القادرة على إنتاج معرفة تاريخية مكتوبة وفق المناهج العلمية، وعليه ورثت الدولة الجزائرية بعد الاستقلال فراغا معرفيا كبيرا، مما جعل إعادة كتابة التاريخ الوطني مهمة معقدة في ظل نقص الكفاءات المتخصصة (ستورا، د.ت، صفحة 68).

بعد الاستقلال واجه المؤرخ الجزائري أمثال "أبو القاسم سعد الله" و "عبد الحميد زوزو" وغيرهم تحديا كبيرا لم يكن الهدف مجرد توثيق الأحداث التاريخية بل تحرير التاريخ الوطني من تأثير الرواية الاستعمارية التي طالت كل مستويات السرد من المصادر إلى التحليل، فالكتابة الاستعمارية لم تكن محايدة بل شكلت أداة لشرعية الاحتلال وتشويه الهوية الوطنية، بالإضافة إلى أن التحدي لم يقتصر على جمع الأحداث التاريخية وتصحيح الرواية الاستعمارية ، بل امتد إلى اختبار اللغة والمنهجية المناسبة لكتابة التاريخ استخدام اللغة الفصحى في الكتابة التاريخية أصبح أداة أساسية لإنتاج نص دقيق وموثوق (بومزو، 2017، الصفحات 141-142).

خلاصة هذا الفصل تؤكد أن الكتابة التاريخية الجزائرية ليست مجرد تسجيل للأحداث بل هي جهد متكامل لفهم الواقع التاريخي والاجتماعي للمجتمع الجزائري مع مراعاة السياق الذي نشأت فيه والتحديات التي واجهها المؤرخون فهي تميزت بوضوح المفهون العلمي والالتزام بالموضوعية والسعي إلى إبراز الهوية الوطنية مما جعلها أداة أساسية لإعادة قراءة التاريخ وتصحيح الصور المشوهة التي حاولت المدارس الاستعمارية فرضها، بذلك يتضح أن الكتابة التاريخية تمثل أساسا متينا لنشأة المدرسة التاريخية الجزائرية انضم تحتها مجموعة من المؤرخين من بينهم عبد الحميد زوزو.

الفصل الثاني:

التعريف بعبد الحميد زوزو

وإنتاجه التاريخي

المبحث الأول: حياته الشخصية

1/ المولد والنشأة

2/ مساره العلمي والمهني

المبحث الثاني: عرض مؤلفاته التاريخية

1/ نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 – 1900م)

2/ ثورة بوعمامة (1881 – 1883م)

3/ الأوراس إبان الاحتلال الفرنسي (1937 – 1939م) دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية

4/ مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي مبيشال

5/ محطات في تاريخ الجزائر دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية

6/ المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة (مؤسسات ومواثيق)

7/ الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين (1914 – 1939م)

المبحث الثالث: المواضيع والقضايا التي تناولها

بعد أن استعرضنا في الفصل الأول الإطار العام للكتابة التاريخية في الجزائر، بما في ذلك مفهومها، سياقها، مميزاتها وصعوباتها، ننتقل لتناول أحد الشخصيات التاريخية من الكتاب الذين أسهموا بعيدا عن المدرسة الاستعمارية، وهو المؤرخ عبد الحميد زوزو، الذي كان له إنتاج تاريخي بارز، حيث سنتطرق في هذا الفصل إلى حياته الشخصية، مساره العلمي، ومؤلفاته التاريخية، لنفهم دور هذه الشخصية العلمية في تشكيل الوعي التاريخي في الجزائر بعد الاستقلال.

المبحث الأول: حياته الشخصية

1- مولده و نشأته :



عبد الحميد زوزو مؤرخ جزائري من مواليد 28 أكتوبر 1941م بأولاد موسى (باتنة) (خدوسي، 2014، صفحة 110) التي كانت تسمى عين القصر خلال الفترة الاستعمارية، والتي أصبحت حاليا ببلدية عين العصافير بولاية باتنة شرق الجزائر (بوعزة ب.، 2007، صفحة 362) تقع

هذه المنطقة ضمن إقليم الأوراس، وهو من المناطق التاريخية المعروفة في الجزائر، مما يدل على أن مولده كان في بيئة ريفية ذات خصوصية تاريخية وثقافية، وهو ما يمكن أن يكون له أثر لاحقا في اهتمامه بدراسة تاريخ هذه المنطقة. كما أن انتماءه إلى منطقة الأوراس، التي عرفت بمقاومتها للاستعمار وتمسكها بهويتها يظهر بأن نشأته الأولى كانت في محيط متشبع بروح المقاومة والوعي الوطني، الأمر الذي يكون قد ساهم في تشكيل ميوله نحو البحث في التاريخ الوطني وقضاياه. ويمكن القول أيضا أن ارتباطه المبكر بهذا المجال الجغرافي قد يفسر تركيزه لاحقا على دراسة منطقة الأوراس وتحولاتها التاريخية، خاصة خلال الفترة الاستعمارية.

- أما عن نشأته:

نشأ المؤرخ عبد الحميد زوزو في بيئة دينية محافظة حيث ترعرع في أسرة ميسورة الحال ذات توجه ديني عميق، تنتمي إلى إحدى الزوايا المعروفة في المنطقة. وقد كان لهذه النشأة أثر بارز في تكوين شخصيته، إذ تكون في محيط يولي أهمية كبيرة للتعليم القرآني والمحافظة على القيم الدينية، في ظل ظروف استعمارية التي عملت على طمس الهوية الوطنية ومحاربة مقومات المجتمع الجزائري. فقد عاش في فترة شهدت تحولات كبيرة: منها اندلاع الحرب العالمية الثانية وما رافقها من تغييرات على مستوى السلطة والسياسة في الجزائر، إضافة إلى تعاقب الحكام العامين الفرنسيين مثل (جورج لوبو Georges[1] Le Beau)، مارسيل بايرتو[2] (Marcel Peyrouton)، وجورج كاترو[3] (Georges Catroux) الذين انتهجوا سياسة قائمة على القمع وتجاهل المطالب الوطنية كما عايش فشل المشاريع الإصلاحية التي قادها دعاة التغيير وعلى رأسهم فرحات عباس وهو ما عمق الشعور بعدم جدوى الإصلاح في ظل الاستعمار. وقد زادت حدة هذه الأوضاع تعقيدا مع نزول الحلفاء في الجزائر سنة 1942م، مما أبرز الأهمية

[1] جورج لوبو، حاكم عام فرنسي للجزائر خلال فترة (ح ع 2) عرف بتشديده للرقابة السياسية واتباعه سياسة القمع

[2] وبيروتون، مسؤول إداري فرنسي شغل منصب حاكم عام على الجزائر، ارتبط اسمه بسياسات حكومة فيشي

[3] جورج كاترو: جنرال وسياسي فرنسي، عين حاكما عاما على الجزائر خلال (ح ع 2) تبنى سياسة تهدف إلى للحفاظ على مصالح فرنسا.

الاستراتيجية للبلاد وأثر على توازناتها الداخلية، إلى جانب مجازر 08 ماي 1945م التي شكلت نقطة تحول حاسمة في تاريخ الجزائر، حيث كشفت عن عنف الاستعمار ورسخت الوعي الوطني لدى الجزائريين. وفي خضم هذه الظروف، انتقلت عائلته إلى مدينة قسنطينة التي كانت تعد مركزا علميا وثقافيا، الامر الذي اتاح له الاحتكاك ببيئة فكرية نشطة (بوعزة ب.، 2007، الصفحات 371-362) مما وفر له بيئة فكرية ثرية حيث احتك بالعلماء والمفكرين المنخرطين في الحركات الإصلاحية فتعمق فهمه للتحديات السياسية والوطنية.

وعليه يمكن القول أن عبد الحميد زوزو كان في قلب هذه مازالفي مرحلة الطفولة المبكرة حيث عاش واقعا مليئا بالتحديات السياسية والفكرية وهو ماساهم في تشكيل وعيه، التاريخي وتوجه اهتمامه لاحقا نحو دراسة تاريخ الجزائر وقضاياها الوطنية ومن هذا المنطق فإن هذه النشأة لم تكن مجرد مرحلة أولية في حياته بل شكلت أساسا لانطلاقه في مسار علمي ومنهجي سعى من خلاله إلى تعميق معرفته وتطوير اهتمامه بالتاريخ. وعليه، فإننا سنتطرق في المطلب الثاني إلى استعراض مساره العلمي والمهني، من خلال إبراز أهم مراحل تكوينه وتطوره الأكاديمي.

2- مسار العلمي والمهني:

أ- مساره العلمي:

بدأ عبد الحميد زوزو مساره العلمي في مسقط راسه مع نهاية الاربعينات، حيث تلقى تعليمه الاول في الكتاب، متاثرا بالبيئة الدينية المحافظة بعد ذلك درس الابتدائية في منطقة تازولت[1] التي كانت تعرف في العهد الاستعماري باسم لامباز، وهي امتداد لظروف القاسية التي فرضتها السلطة الاستعمارية، هاجرت اسرته من باتنة الى قسنطينة، اين واصل تعليمه الابتدائي والاكمالي

[1] - منطقة تازولت: تقع بمدينة تازولت بولاية باتنة (الاوراس) عرفت في العهد الروماني باسم لامباز.

(الطور المتوسط)، استقرت العائلة في قسنطينة حتى استقلال الجزائر عام 1962، ثم انتقلت الاسرة الى الجزائر العاصمة، أين بدا مرحلة جديدة من التعليم.

بعد نجاحه في التعليم الثانوي، التحق بجامعة الجزائر حيث قضى ثلاث سنوات في معهد الدراسات العربية العليا، ليتحصل على شهادة الكاباس[1] عام 1966 بعد ذلك واصل دراسته الجامعية في التاريخ والجغرافيا وحصل على الليسانس من كلية الادب ثم تخصص في التاريخ المعاصر حيث نال شهادة الدراسات العليا في نفس المجال عام 1974 كان طموحه العلمي يدفع دائما الى تحدي الحدود (بوعزة ب.، 2007، الصفحات 371-373)، فانتقل الى فرنسا لتحضير شهادة الدكتوراه في تاريخ الجزائر المعاصر، وبعد عناء وجهد تمكن من مناقشته اطروحته التي كانت بعنوان التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي لمنطقة الاوراس من (1837 – 1939) باشراف كبير المؤرخين الفرنسي[2] (Charles-Robert Ageron) شارل روبر اجرون [3] بجامعة باريس 12 سنة 1992.

و عاد بعد ذلك الى الجزائر، حاملا شهادة دكتوراه الدولة في الاداب والعلوم الانسانية في التاريخ المعاصر (أوجرتني، د.ت، صفحة 11) هذا المسار الاكاديمي لم يكن نهاية طموحه بل كان بداية لانطلاقة مهنية، حيث اصبح من رواد المدرسة التاريخية الجزائرية

[1] شهادة الكفاءة: (شهادة الكفاءة في الاستاذية للتعليم الثانوي).هي رخصة رسمية تسمح لجامل شهادة الليسامس ان يصبح استاذا مرسما في الثانوي
[2] شارل اندري جوليان: مؤرخ فرنسي يلقب ب "شيخ المؤرخين الفرنسيين" المختصين في شمال افريقيا من اشهر اعماله كتاب "افريقيا الشمالية".
[3] شارل روبير اجيرون: مؤرخ فرنسي (1923 - 2008) يعتبر تلميذ شارل الاستعماري من أشهر أعماله الجزائر الاستعمارية: تاريخ الجزائر المعاصر.

ب/ مساره المهني

بعد استعراضنا للتدرج العلمي الذي مكن عبد المجيد روزو من بناء قاعدة معرفية صلبة، فاننا الان سننتقل الى المسار المهني، الذي يعكس بدوره مكانته العلمية ودوره البارز في ميدان التعليم والبحث التاريخي فقد عرف هذا المسار تدرجا ملحوظا من خلال تقلده لعدة وظائف ومناصب اكاديمية وادارية، مما مكنه من الاسهام الفعال في تكوين الاجيال وترسيخ مكانته ضمن رواد المدرسة التاريخية الجزائرية وعليه يمكن عرض اهم محطات مساره المهني في النقاط التالية:

1- بدا مسيرته التعليمية كأستاذ للتاريخ والجغرافيا من (1966 الى 1974م).

2- تولى منصب مفتش جهوي لمادتي التاريخ والجغرافيا في ولايات الوسط.

3- انتدب لوزارة التعليم العالي عام 1975م كاستاذ متربص، ثم رقي الى استاذ مساعد عام 1978م واستاذ مكلف بالدروس عام (1982م).

4- حصل على دكتوراه الدولة في التاريخ المعاصر من جامعة باريس 12 عام 1992م.

5- رقي الى استاذ محاضر عام 1993م ثم الى استاذ التعليم العالي عام (1998م).

6- شغل مناصب ادارية عليا مثل عميد جامعة التكوين المتواصل 1996 - 1997م.

7- عين عضوا في مجلس الامة عام 1997م، ونائب رئيس لجنة التربية والتعليم بين (1999 و 2000م).

8- عضو في لجنة الشؤون الخارجية والتعاون الدولي والجالية الجزائرية بدءا من (2001م).

9- كان له دور بارز في تكوين الاجيال عبر الاشراف على وحدات الماجستير والدكتوراه.

10- اشراف على عدة رسائل ماجستير في تاريخ الثورة والحركة الوطنية مثل:

- رسالة ماجستير في تاريخ الثورة للطالب احمد بوقجاني بعنوان : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية وثورة التحرير (1945-1956).
- رسالة ماجستير في تاريخ الثورة للطالبة دليلة بوحميد بعنوان : استراتيجية الولاية خلال الثورة (1956-1962) اتجاه الاستعمار
- رسالة ماجستير في تاريخ الثورة للطالبة كريمة سعيدي بعنوان : الثورة في اوراس النمامشة (المرحلة الاولى 1954 - 1956).
- رسالة ماجستير في تاريخ الثورة للطالبة حكيمة شتواح بعنوان : التنظيم الثوري للقيادة في الداخل والخارج (1954 - 1962).
- رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر للطالب كمال سليح بعنوان : المحاولات الوحدوية في الحركة الوطنية الجزائرية (1936 - 1956م) (بوعزة ب.، 2007، الصفحات 373-376).

بعد دراسة المحطات العلمية والمهنية التي شكلت مسار "عبد الحميد زوزو" ننتقل الان الى المبحث الثاني لا ستكشاف انتاجه العلمي مسلطين الضوء على ابرز مؤلفاته التاريخية التي وثقت تاريخ الجزائر كاشفين بذلك عن نهجه الفكري.

المبحث الثاني: عرض مؤلفاته التاريخية

الكتاب الأول: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 - 1900)م

1. الدراسة الظاهرية:



- ✓ مؤلف: عبد الحميد زوزو
- ✓ عنوان الكتاب: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 – 1900)م
- ✓ رقم السلسلة: 4
- ✓ طول الكتاب: 25.2 سم
- ✓ عرضه: 16.5 سم
- ✓ حجمه: متوسط
- ✓ عدد صفحاته: 272
- ✓ الطبعة: خاصة بوزارة المجاهدين

- ✓ المجلد: الرابع
- ✓ دار النشر: الجزائر

❖ تم الاعتماد في هذه الدراسة على الطبعة الصادرة سنة (2010م) وذلك لتعذر الوصول إلى الطبعة الأولى التي نشرها الدكتور "عبد الحميد زوزو" عام (1978م)

❖ **الوصف الخارجي للكتاب:**

يظهر الكتاب في حلة تجليد فني فاخر ذو غلاف صلب وملمس ناعم بلون رمادي فاتح يتصدر واجهة الغلاف عنوان عريض باللون الذهبي البارز يحمل اسم "أعمال الدكتور عبد الحميد زوزو" متبوعا بالرقم التسلسلي للسلسلة (4)، وتحت هذا العنوان يظهر في المنتصف بخط واضح متوسط الحجم وباللون الذهبي أيضا عنوان محتوى الكتاب وهو: " الدور السياسي للهجرة الى فرنسا بين الحربين (1914 – 1939م).

لياتي تحته مباشرة العنوان االثاني للقسم الملحق نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 – 1900)م" وفي الجزء السفلي تماما من الواجهة نجد عبارة "المجلد الرابع" متبوعة باسم الناشر "ديوان المطبوعات الجامعية" وجانب حافة الغلاف اليسرى يمتد خط ذهبي رفيع يفصل عموديا بين البيانات المذكورة سابقا، وقسم مخصص يحمل صورة تمثل ختم ذهبي يحمل شعارا يشير إلى الذكرى الخامسة والخمسون لاندلاع الثورة التحريرية ويحتوي داخل الصورة هلال ونجمة وهو رمز وطني جزائري، بالاضافة الى رسومات تمثل الشعب الجزائري وتحت الصورة طبعة خاصة بوزارة المجاهدين والواجهة الخلفية عبارة عن صفحة فارغة بلون رمادي فاتح.

2/ الكتاب الثاني: ثورة بوعمامة (1881 – 1908م)

1 – الدراسة الظاهرية:



الجزء الأول: جانبها العسكري (1881 – 1883م)

- مؤلف: عبد الحميد زوزو
- عنوان الكتاب: ثورة بوعمامة جانبها العسكري (1881 – 1883م)
- الجزء الأول
- طول الكتاب:cm 17

- عرضه:cm 13.5
- حجمه: صغير
- عدد صفحاته: 59
- الطبعة: خاصة بوزارة المجاهدين
- دار النشر: الجزائر
- تم الاعتماد في هذه الدراسة على الطبعة الصادرة عام 2010م وذلك لتعذر الوصول إلى الطبعة الصادرة سنة 1981م

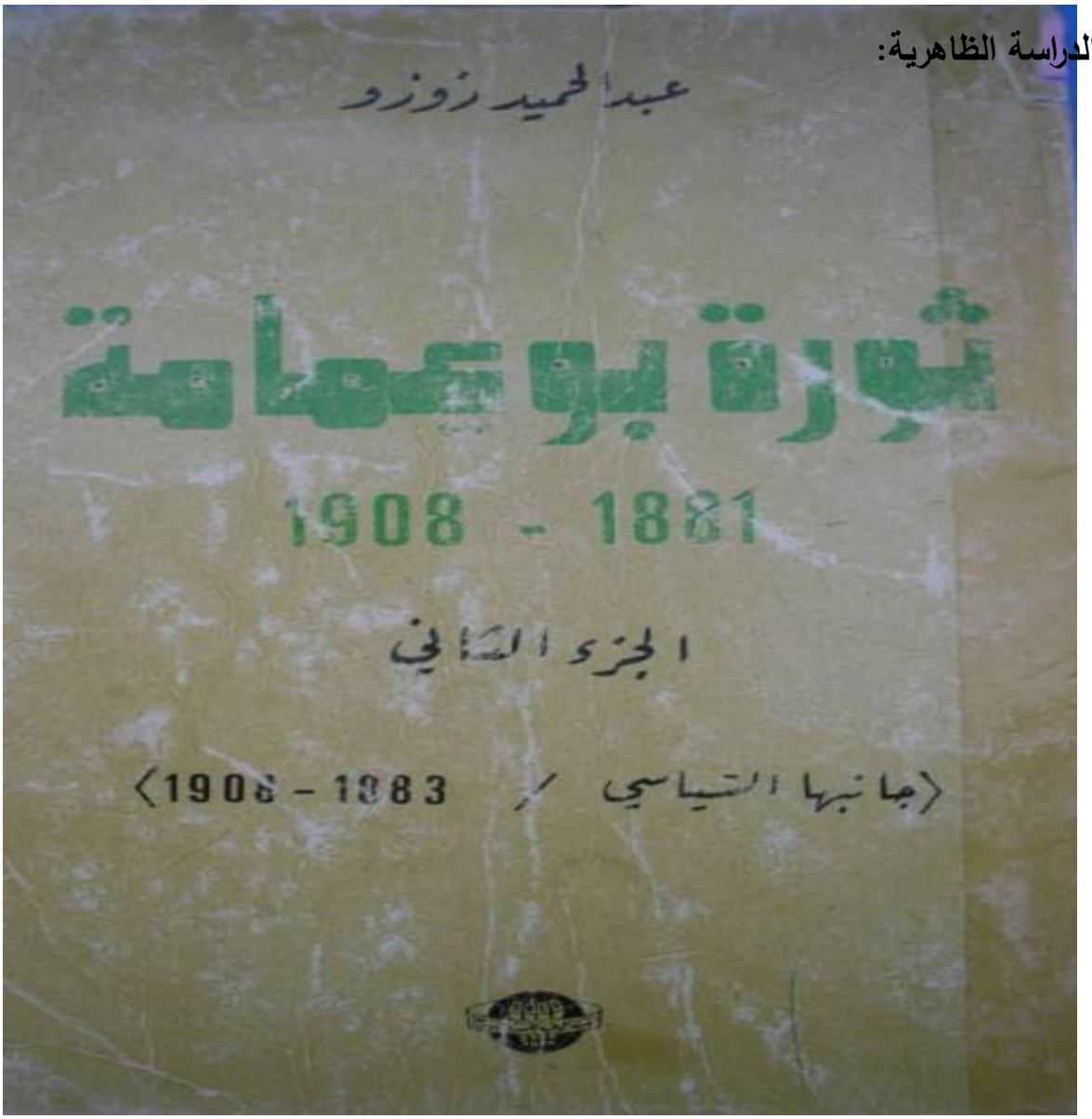
❖ **الوصف الخارجي للكتاب:**

يأتي الغلاف بلون فاتح يميل إلى الصفرة وهو لون يوحي بالطابع الأكاديمي. في أعلى الغلاف نجد اسم المؤلف "عبد الحميد زوزو" مكتوبا بخط اسود بسيط وواضح، يليه العنوان الرئيسي للكتاب "ثورة بوعمامة" الذي كتب بخط عريض وفني باللون الأسود، وأسفله مباشرة النطاق الزمني للثورة (1881 – 1908). في منتصف الواجهة تم تحديد الجزء حيث كتبت عبارة "الجزء الأول" بوضوح باللون الأبيض، يتبعها بين قوسين التخصص الدقيق لهذا الجزء: (جانبها العسكري 1881 – 1883) باللون الأسود، أسفلها مباشرة تتوسط الغلاف لوحة زيتية تاريخية تجسد مشهد معركة حامية، يظهر فيها الفرسان الجزائريون بلباسهم التقليدي الأبيض (البرانيس) وهم يمتطون خيولهم في حالة هجوم وانقضاض، مع ظهور بارز لراية خضراء ترفرف في قلب المعركة، مما يرمز إلى الجهاد والمقاومة الشعبية ضد الاستعمار، وفي الركن السفلي الأيمن، يظهر بوضوح شعار دار النشر "ENAG" وهو عبارة عن شكل هندسي أزرق يرمز للكتاب داخل إطار مستطيل، مما يضفي صبغة رسمية على الإصدار.

أما الغلاف الخلفي، فيحمل طابعا وثائقيا فريدا، إذ يشغله بالكامل تقريبا مخطوط تاريخي قديم (رسالة أو نداء) مكتوب بخط اليد المغربي الأصيل باللون الأسود، وهو موجه إلى قبائل المنطقة يحثهم فيه "الشيخ بوعمامة" على الجهاد والاتحاد، تبدأ الرسالة بالبسملة والحمد لله وتفيض بعبارات الحماس الديني والوطني وينتهي المخطوط بتوقيع الشيخ، وفي الأسفل تماما، نجد الرمز الشريطي الدولي

- الجزء الثاني: جانبها السياسي - (1881 - 1908م)

- الدراسة الظاهرية:



- مؤلف: عبد الحميد زوزو
- عنوان الكتاب: ثورة بوعمامة جانبها السياسي (1883 – 1908م)
- الجزء الثاني
- طول الكتاب: 17 cm
- عرضه: 13.5 cm
- حجمه: صغير
- عدد الصفحات: 136
- دار النشر: الجزائر

تم الاعتماد في هذه الدراسة على الطبعة الصادرة عام (2010م)، وذلك لتعذر الوصول إلى الطبعة الصادرة سنة (1983م)

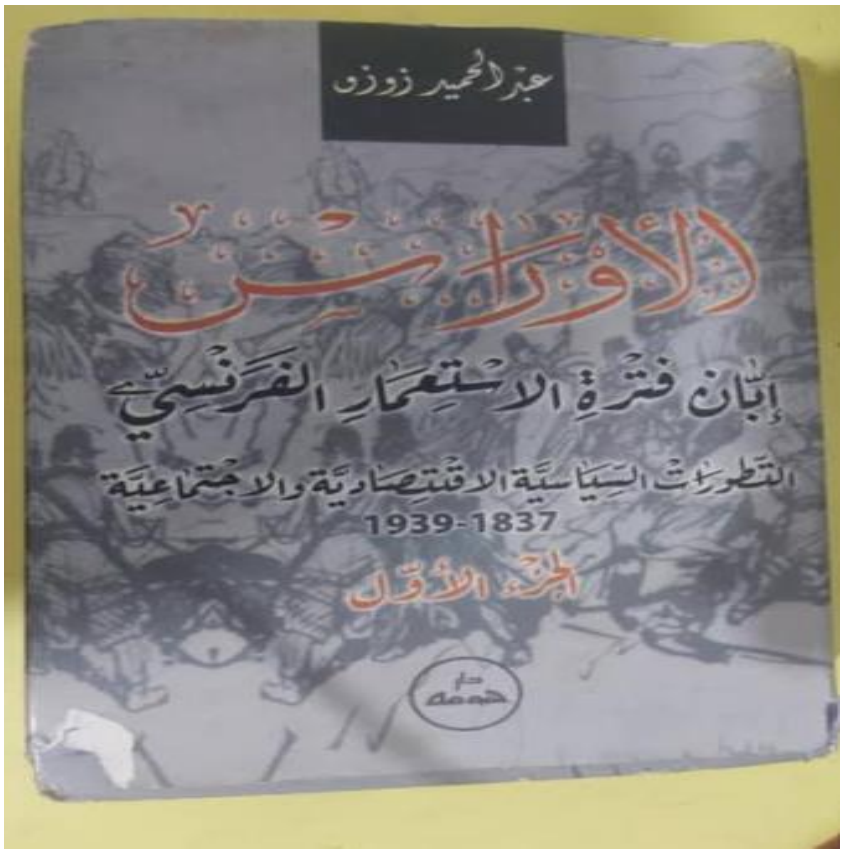
❖ **الوصف الخارجي للكتاب**

يأتي الغلاف بلون بيج، في أعلى الغلاف، نجد اسم المؤلف "عبد الحميد زوزو" مكتوب بخط بسيط ومنتظم باللون الأسود، يليه العنوان الرئيسي للكتاب "ثورة بوعمامة" الذي كتب بخط عريض وفني باللون الأخضر، وأسفله مباشرة تم تحديد الجزء الثاني بوضوح باللون الأسود بخط متوسط، يتبعها بين قوسين التخصص الدقيق لهذا الجزء: (جانبها السياسي 1883 – 1908) باللون الأسود وبخط عادي.

3/الكتاب الثالث :

الأوراس إبان الاحتلال الفرنسي (1937 – 1939م) دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية

– الدراسة الظاهرية: الجزء الأول



– المؤلف: عبد الحميد زوزو

– عنوان الكتاب: الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي (1837 – 1939م)

– الجزء: الأول

– طول الكتاب: 23.3 cm

– عرضه: 15 cm

- حجمه: متوسط

- عدد صفحاته: 461

- الطبعة: الثانية

- دار النشر: الجزائر

تم الاعتماد في هذه الدراسة على الطبعة الصادرة عام 2011م، وذلك لتعذر الوصول إلى الطبعة الأولى التي نشرها الدكتور "عبد الحميد زوزو" عام (2001م).

جرت ترجمة الكتاب من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية عن طريق المترجم مسعود حاج مسعود.

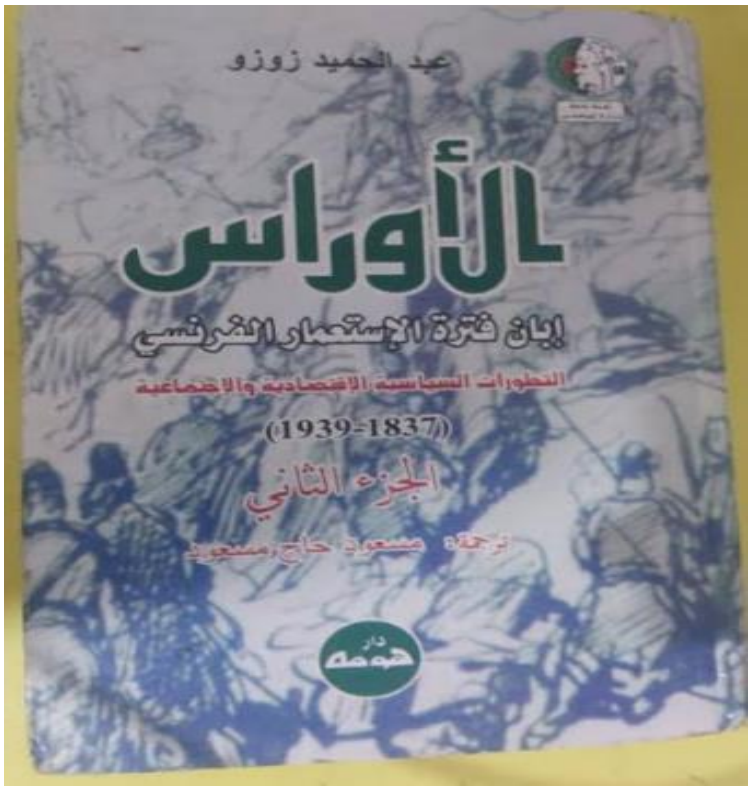
❖ **الوصف الخارجي للكتاب:**

ذو غلاف رمادي فاتح يتصدر واجهته فنية عبارة عن لوحة منقوشة تجسد حشودا من الأهالي والفرسان في منطقة جبلية (الأوراس). في أعلى الغلاف، وداخل إطار مستطيل أسود أفقي، كتب اسم المؤلف "عبد الحميد زوزو" بخط العربي الجميل باللون الأبيض، يلي هذا الإطار العنوان الرئيسي للكتاب "الأوراس" الذي كُتب بخط كبير جدا وبارز بلون أحمر، أسفل العنوان الرئيسي الأحمر مباشرة كُتب باللون الأسود وبخط أصغر "إبان فترة الاستعمار الفرنسي" يليه في السطر التالي "التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية" وفي منتصف الغلاف تقريبا، تم تحديد النطاق الزمني بخط رقمي واضح بلون أسود (1837 – 1939) وأسفله مباشرة كتبت عبارة "الجزء الأول" بلون أحمر يماثل لون العنوان الرئيسي، وفي الجزء السفلي وداخل شكل بيضاوي بالأسود يوجد شعار "دار هومة". يستمر اللون الرمادي في تغطية كامل الواجهة الخلفية

للكتاب حيث يستقر في الركن السفلي الأيمن شعار "دار هومة" داخل إطاره، متبوعا ببيانات النشر والاتصال باللغتين العربية والفرنسية، بينما يظهر في الجهة المقابلة الرمز الشريطي الدولي.

الجزء الثاني

- الدراسة الظاهرية:



- المؤلف: عبد الحميد زوزو
- عنوان الكتاب: الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي (1837 – 1939م)
- الجزء: الأول
- طول الكتاب: 23.3 cm
- عرضه: 15 cm
- حجمه: متوسط

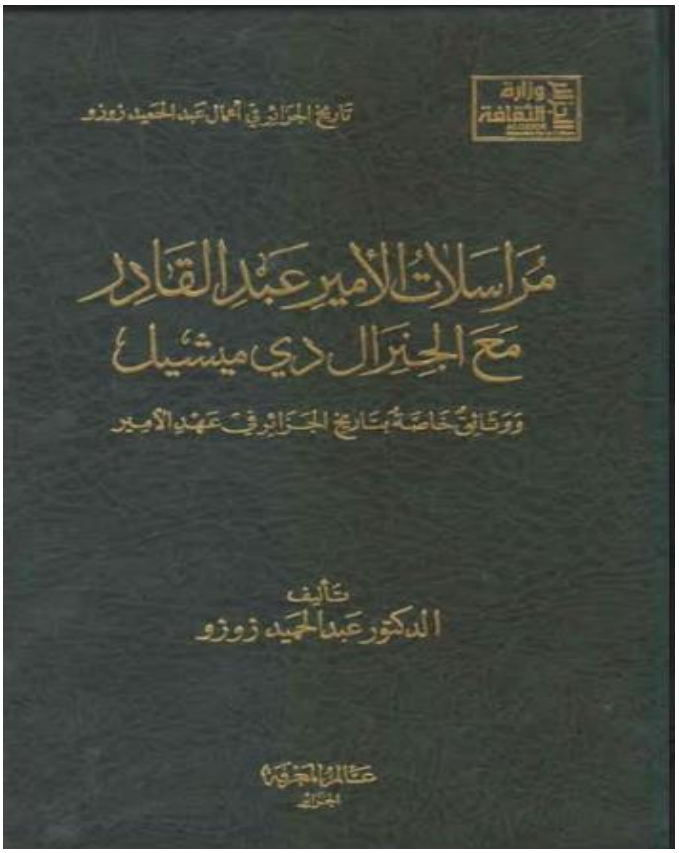
- عدد الصفحات: 131
- الطبعة: خاصة بوزارة المجاهدين
- دار النشر: الجزائر

تم الاعتماد في هذه الدراسة على الطبعة الصادرة عام 2011م، وذلك لتعذر الوصول إلى الطبعة الأولى التي نشرها الدكتور "عبد الحميد زوزو" عام 2001م.

❖ **الوصف الخارجي للكتاب:**

يأتي الغلاف الخارجي بتصميم يغلب عليه اللون الأبيض المائل للرمادي مع خلفية فنية مرسومة باللون الأزرق النيلي التي تصور حشودا من الأهالي في بيئة جبلية يبرز في أعلى الواجهة اسم المؤلف "عبد الحميد زوزو" بخط أسود بسيط يليه العنوان الرئيسي "الأوراس" بخط عريض ولون أخضر داكن، متبوعا بالعناوين الفرعية "إبان فترة الاستعمار الفرنسي" باللون الأبيض وبخط أصغر يليه في السطر التالي "التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية" باللون الأحمر يليه بلون أسود النطاق الزمني (1837 – 1939م) وأسفله مباشرة كتبت عبارة "الجزء الثاني" بلون أحمر يليه ما يميز هذا الغلاف عبارة "ترجمة: مسعود حاج مسعود" باللون الأحمر مع شعار وزارة المجاهدين في الركن العلوي تليه مباشرة طبعة خاصة وزارة المجاهدين وفي أسفل الغلاف شعار "دار هومة" داخل دائرة خضراء. أما الجهة الخلفية فتهيمن عليه نفس اللوحة الزرقاء ويتوسطها مستطيل أبيض شفاف يستعرض قائمة بـ عشرة مؤلفات أخرى للكاتب وفي أقصى الركن السفلي بيانات دار النشر والرمز المعيار ISBN باللونين الأحمر.

4/ الدراسة الظاهرية لكتاب: مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشال



- المؤلف: عبد الحميد زوزو
- عنوان الكتاب: مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشال.
- طول الكتاب: 25,5 سم
- عرضه: 17 سم
- حجمه: متوسط الحجم
- عدد صفحاته: 669 صفحة.
- الصفيحة: 2013 خاصة بوزارة الثقافة.
- دار النشر: عالم المعرفة – الجزائر.

تم الاعتماد في هذه الدراسة على طبعة 2013م وذلك لتعذر الوصول إلى الطبعة الأصلية عام 2003م في صيغها الورقية

❖ **الوصف الخارجي للكتاب:**

يأتي كتاب المؤلف "عبد الحميد زوزو" الموسوم بـ "مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشال" في حالة تجليد فني حيث جلد بمجلد فني سميك ذو لون أخضر ملكي داكن، بملمس جلدي محدب مما يضفي عليه طابعا وثائقيا وتاريخيا متميزا.

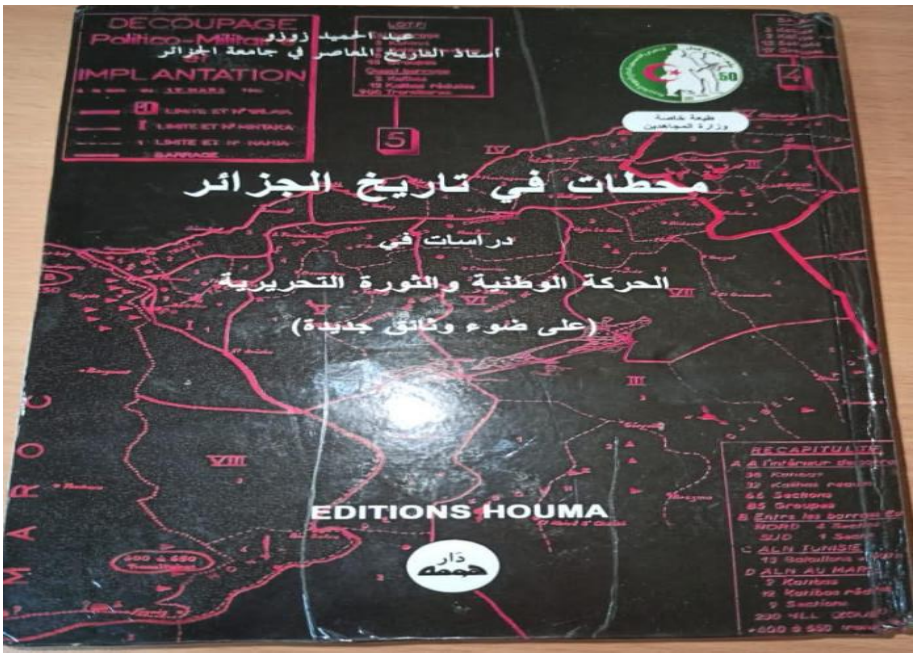
اعتمد المصمم في إخراج الواجهة على التباين اللوني الواضح بين خلفية الغلاف والخط الأصفر الذهبي المحفور، فنجد في الركن العلوي الأيمن شعار "وزارة الثقافة الجزائرية" داخل إطار ذهبي صغير تقابله في الجهة اليسرى عبارة "تاريخ الجزائر في أعمال عبد الحميد زوزو" يتوسط الغلاف العنوان الرئيسي بخط عريض وبارز "مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشال" وفي أسفل الجزء من الواجهة ثبت اسم الدكتور عبد الحميد زوزو متبوعا في قاعدة الغلاف باسم دار النشر "عالم المعرفة – الجزائر".

أما كعب الكتاب في الجهة اليمنى فانه حافظ على الهوية البصرية باللون الأخضر وقد نقش عليه باللون الذهبي اسم المؤلف عبد الحميد زوزو متبوعا بالعنوان لضمان سهولة التعرف على المجلد ضمن الرفوف المكتبية

أما بالنسبة للغلاف الخلفي فانه يتميز ببساطة التصميم واستمرارية اللون الاخضر الموحد حيث يتصدر في الجزء السفلي سطر ذهبي يشير الى جهة الاصدار.

صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة في اطار الصندوق الوطني للترفيه والفنون والاداب مع خلو الظهر تماما من أي رسومات او صور توضيحية.

5/ الدراسة الظاهرية للكتاب: محطات في تاريخ الجزائر (دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة)



- المؤلف عبد الحميد زوزو.
- عنوان الكتاب: محطات في تاريخ الجزائر (دراسات الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة).
- طول الكتاب: 24,5 سم.
- عرضه: 16 سم.
- حجمه: متوسط.
- عدد صفحاته: 565 صفحة.
- دار النشر دار هومة.

اعتمدنا في دراستنا على طبعة 2005م وذلك لتعذر الوصول إلى الطبعة الأصلية الصادرة عام 2004في صيغها الورقية.

الوصف الخارجي للكتاب:

يتميز كتاب (Haltes historique) محطات في تاريخ الجزائر، المؤرخ عبد الحميد زوزو بطابع قصري يجمع بين الحرية الاكاديمية والرمزية التاريخية.

يأتي الغلاف الخارجي للكتاب بلون أسود داكن يطغى على كامل المساحة وهو لون يوحي بالرصانة والعمق العلمي، وقد زين الغلاف برسومات باللون الأحمر تمثل خريطة الجزائر بتقسيماتها المختلفة مع خطوط ومسارات وأرقام ما يعطي انطباعا بطابع عسكري وتاريخي.

في الواجهة الأمامية كتب عنوان الكتاب (محطات في تاريخ الجزائر) باللغة العربية بخط واضح وباللون الابيض يتوسط الغلاف مايجعله بارزا وتحت عنوان يظهر عنوان فرعي يشير الى مضمون الكتاب المتعلق بالحركة الوطنية والثورة التحريرية كما يظهر شعار دائري بالوان الاخضر والأبيض، ترمز للهوية الوطنية إضافة إلى اسم دار النشر في الاسفل أما الواجهة الخلفية فقد كتب فيها العنوان باللغة الفرنسية (Haltes historiques) بخط أبيض وواضح مع ذكر صفة المؤلف كاستاذ بجامعة الجزائر، كما تتضمن نصاً تعريفياً بالكتاب باللغة الفرنسية يوضح انه عبارة عن مجموعة من الدراسات حول المقاومة الوطنية والحركة التحريرية مع الاشارة الى اعتماد المؤلف على وثائق وارشيفات.

ومن الناحية التقنية يتميز الغلاف بكونه لامعا ومغلفا بطريقة بلاستيكية ما يمنحه مظهرا احترافيا ويحافظ عليه.

6/ الدراسة الظاهرية لكتاب: المرجعيات التاريخية للدولة الجزاءرية الحديثة.



- ✓ المؤلف: عبد الحميد زوزو.
- ✓ عنوان الكتاب: المرجعيات التاريخية للدولة الجزاءرية الحديثة.
- ✓ رقم السلسلة: الخامسة
- ✓ طول الكتاب: 25,5 سم.
- ✓ عرضه: 16 سم.
- ✓ حجمه: متوسط.
- ✓ عدد صفحاته: 515 صفحة.
- ✓ الطبعة: خاصة بوزارة المجاهدين بمناسبة الذكرى 55 لاندلاع الثورة التحريرية
- ✓ المجلد الخامس
- ✓ دار النشر: الجزائر

بالرغم من كون الطبعة الاولى الصادرة سنة 2006م هي المبتدا التاريخي لهذا العمل الا اننا اعتمدنا في بحثنا هذا على طبعة 2010م وذلك لسهولة تداولها ورقيا

وصف الغلاف الخارجي للكتاب:

يتخذ كتاب المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة للمؤرخ عبد الحميد زوزو شكلا خارجيا حيث جاء بغلاف صلب يكسوه اللون الرمادي ويعلو الغلاف عنوان السلسلة اعمال الدكتور عبد الحميد زوزو مكتوب باللون الأصفر بخط بارز وواضح بينما يتوسطه عنوان الكتاب بخط مماثل من حيث اللون والتنسيق مما يخلق نوعا من الانسجام البصري بين مختلف العناصر ويبرز في تصميم الغلاف خط عمودي أصفر يشق الواجهة فيمنحها تنظيما بصريا مميزا يقابله على الحافة اليسرى خط ذهبي رفيع يفصل بين الجزء الكتابي وجانبا تصوري ذا دلالة رمزية ويحتوي هذا الجانب على ختم ذهبي يخلد الذكرى الخامسة والخمسين لانطلاق الثورة التحريرية الجزائرية ويتوسطه هلال ونجمة كرمزين وطنيين الى جانب رسومات تجسد ملامح الشعب الجزائري وفي اسفل الغلاف الامامي ترد بيانات المجلد مرفقة باسم الناشر ديوان المطبوعات الجامعية بالاضافة الى الاشارة لجهة الطباعة التابعة لوزارة المجاهدين وهو مايعزز الطابع الرسمي والتاريخي للكتاب اما الغلاف الخلفي فيتسم بالبساطة اذ جاء باللون رمادي فاتح خال من اي عناصر.

7/ الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين (1914-1939)

دراسة ظاهرية للكتاب:



- مؤلف: عبد الحميد زوزو
- عنوان الكتاب: الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين (1914-1939)
- رقم السلسلة: الرابعة
- طول الكتاب: 25.5 سم
- عرضه: 16 سم
- حجمه: متوسط الحجم
- عدد صفحاته: 270 صفحة
- الطبعة: خاصة بوزارة المجاهدين بمناسبة الذكرى 55 لاندلاع الثورة التحريرية

- المجلد: الرابع
- دار النشر: دار الجزائر

على الرغم من الاهمية التاريخية للطبعة الاصلية لهذا العمل التي كانت سنة 2007م ولتعذر الوصول إليها ورقيا جعلنا نستند الى طبعة 2010 لتناول هذه الدراسة.

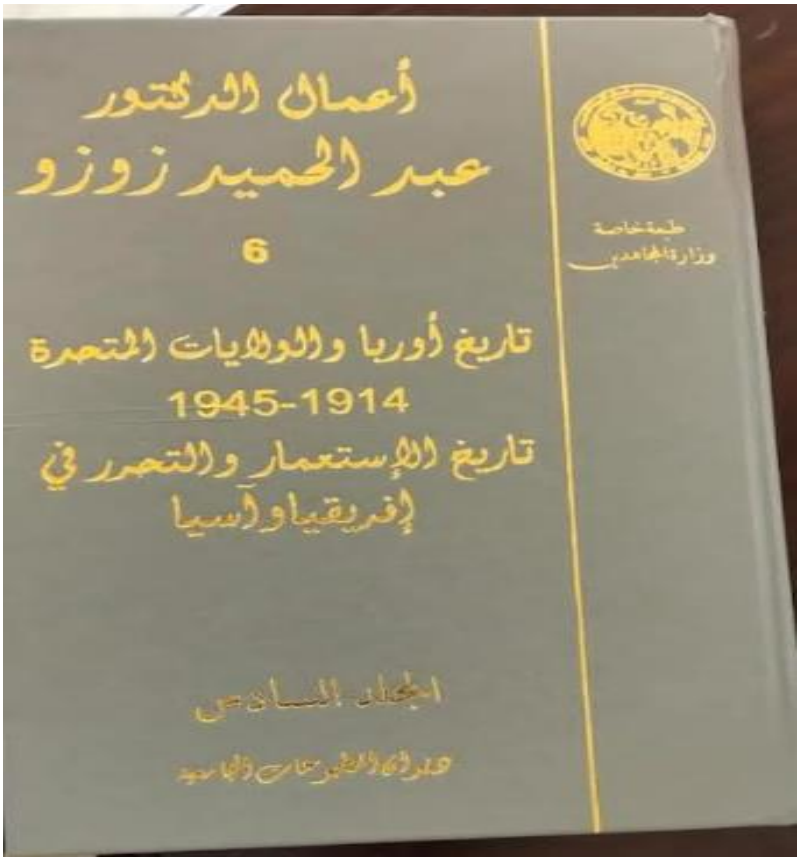
الوصف الخارجي للكتاب:

يظهر الكتاب في حالة تجليد فني فاخر ذو غلاف صلب وملمس ناعم بلون رمادي فاتح. يتصدر واجهة الغلاف عنوان عريض باللون الذهبي البارز يحمل عنوان "اعمال الدكتور عبد الحميد زوزو "متبوعا بالرقم التسلسلي للسلسلة (4). وتحت هذا العنوان يظهر في المنتصف بخط واضح متوسط الحجم وباللون الذهبي ايضا عنوان محتوى المجلد وهو (الدور السياسي للهجرة بين الحربين 1914-1939).

وفي الجزء السفلي تماما من الواجهة نجد عبارة المجلد الرابع "" متبوعة باسم الناشر "ديوان المطبوعات الجامعية"، وبجانب حافة الغلاف اليسرى يمتد خط رفيع ذهبي يفصل عموديا بين البيانات المذكورة سابقا وقسم مخصص يحمل صورى تمثل الختم الذهبي يحمل شعار يشير الى الذكرى الخامسة والخمسون للاندلاع الثورة التحريرية ويختوي داخل الصورة هلال ونجمة وهي رمز وطني جزائري بالاضافة الى رسومات تمثل الشعب الجزائري تحت الصورة طبعة خاصة بوزارة المجاهدين والواجهة الخلفية عبارة عن صفحة فارغة بلون رمادي فاتح.

وفي ختام البحث يقدم المؤلف مجموعة من الفهارس التي تساعد على تسهيل الرجوع إلى محتوى الكتاب وتنظيمه حيث يبدأ بفهرس الجداول ثم فهرس الخرائط وفهرس الصور كما يدرج فهرس الأعلام الذي يضم الشخصيات المذكورة, وفهرس الاحزاب والهيئات ثم يعرض فهرس الأماكن والبلدان ويواصل بتفهرس المذاهب وبعض المصطلحات الأخرى كما يضيف فهرس الدوريات وفي الأخير يقدم محتويات البحث الذي يعطي نظرة شاملة ومنظمة عن هيكلة العمل.

وتجدر الإشارة إلى أن "عبد الحميد زوزو" له مؤلفات أخرى مثل كتاب "تاريخ أوروبا والولايات المتحدة بين الحربين" وكتاب "تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا" إلا أنها لم تدرج ضمن نطاق هذا البحث الذي يقتصر على إسهامات عبد الحميد زوزو في الكتابة التاريخية الجزائرية.



بعد عرضنا لدراسة ظاهرية لمؤلفاته التاريخية يجدر بنا الانتقال إلى المبحث الثالث الذي نُقدّم من خلاله دراسة باطنية لجل مؤلفاته

المبحث الثالث: المواضيع والقضايا التي تناولها

أ- قضايا المرجعيات التاريخية:

1- كتاب: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 - 1900م)

- الدراسة الباطنية:

يستهل الدكتور عبد الحميد زوزو بتصدير **يليه** مقدمة وصولا الى الصفحة التاسعة التي تشكل الانطلاقة الفعلية لوضع "طريقة شرح النصوص التاريخية" حيث يضع أربع مراحل أساسية، أولا: المقدمة التي تتطلب من الطالب تحديد طبيعة النص ومصدره وأفكاره، مما يساعد على ضبط مسار الشرح.

ثانيا: تحليل النص حيث يدعو إلى شرح الكلمات الهامة ثم تحليل الأفكار المستخرجة من النص مع دعمها بمعلومات تاريخية أخرى.

ثالثا: مناقشة النص أو نقده، حيث يشجع الطالب على توسيع الأفكار. وأخيرا الخاتمة (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900م)، 2010، الصفحات 9-12) وبناء على ذلك تم تطبيق الطريقة المقترحة على نص يحمل عنوان "مناداة من مارسيل" (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900م)، 2010، صفحة 13).

ومن ثم قسم الدكتور زوزو متن الكتاب إلى مجموعات حيث تناول فيها:

المجموعة الأولى: بعنوان "المناشير والرسائل الإخبارية (عشية الاحتلال وأثناءه)" حيث تضم ثلاثة عشر نصا تاريخيا وهي عبارة عن مناشير ورسائل وإعلانات وجهت للشعب الجزائري من طرف الاستعمار الفرنسي ويظهر ذلك في:

أول نداء وزع على الجزائريين في شكل منشور: نداء الذي وجهه قائد الحملة الفرنسية إلى الجزائريين عام (1830م) الذي كتب بلغة عربية ركيكة لضمان وصول الرسالة للأهالي حيث يتضمن المضمون وعودا صريحة بالإبقاء على ممارسة الشعائر الدينية واحترام المساجد والزوايا، مع تأكيد المحتل بأن حملته العسكرية تستهدف حصرا "الداي حسين" لتخليص الرعية من ظلمه المزعوم لا محاربة الشعب أو سلب أملاكهم. إذ ركزت الوثيقة على مخاطبة العلماء والأشراف والقضاة بلغة التودد والصداقة (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900م)، 2010، الصفحات 25-28).

نداء موجه إلى الكراغلة: نداء موجه من طرف الجيش الفرنسي إلى فئة الكراغلة القاطنين بإيالة الجزائر، يهدف إلى عزل هذه الفئة عن السلطة العثمانية. يتضمن النص وعوداً فرنسية بصفتهم أصدقاء جاؤوا لطرد الأتراك الذين اضطهدوا الكراغلة وغصب ممتلكاتهم مع تأكيد المحتل على عدم نيته الاستيطان كأسياد، بل السعي لتمكين الكراغلة من حكم وطنهم بأنفسهم كما كان عليه حال المصريين بعد مغادرة الفرنسيين لبلادهم (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900م)، 2010، الصفحات 30-31).

<u>ونذكر رواية مستشرق أوروبي عن الجزائر:</u> رواية يستعرض فيها الدكتور زوزو رواية تاريخية للتاجر الإسباني "دون سيباستيان باترون" (Don Sebastian Patron) الذي عاش تجربة الأسر في الجزائر العاصمة قبيل الاحتلال الفرنسي يتضمن مضمون الرواية تفاصيل دقيقة حول ظروف اعتقاله بسبب عدم الالتزام المالي تجاه الداي وما طاله ذلك من معاناة داخل السجون

المعروفة بـ (البانيو)، ويصف قسوة الحياة اليومية للأسرى بدءاً من نظام التغذية وصولاً إلى طبيعة الأشغال الشاقة التي كانوا يجبرون عليها تحت حرارة الشمس الحارقة كما يكشف النص عن جوانب مهمة تتعلق بطبيعة الحكم في تلك الفترة، كما تحدثت هذه رواية عن ممارسات قاسية لبعض حاشية الداي مثل العبد الأسود، ويوضح كيف استخدمت هذه الشهادات الغربية لاحقاً لتشويه صورة الإيالة الجزائرية ووصفها بالبربرية لتبرير التدخل العسكري الأوروبي (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، الصفحات 33–36).

وقد عزز الدكتور عبد الحميد زوزو مصداقية الرواية التاريخية التي أوردها باللغة العربية عبر إرفاقها بالوثيقة الأصلية من الأرشيف الفرنسي والمكتوبة باللغة الفرنسية تحت عنوان (Relation donnée par un esclave européen) (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، الصفحات 37–39)

لينتقل من الوثائق التي أرفقها إلى دراسة شخصية "الداي حسين ونظام حكمه" من وجهة نظر "حمدان خوجة" في كتاب "المرآة" (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، صفحة 41)

ولدينا المراسلات المتبادلة بين الداي حسين وحمود باشا حاكم تونس (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، الصفحات 43–44) التي تؤكد على وجود حيوية للدبلوماسية الجزائرية قبيل الغزو إذ يستخدم الداي لغة بروتوكولية عالية تعكس سيادة الدولة وقدرتها على إدارة الأزمات الإقليمية وتفعيل روابط الأخوة لمواجهة الخطر الأجنبي، وهو ما يخدم جوهر المدرسة التاريخية الجزائرية في مد يد إثبات أن الجزائر كانت كياناً دولياً مؤسساتيا يمتلك سيادة كاملة.

وننتقل إلى (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، الصفحات 45–46) التي تناولت كتابا من يوسف باشا القرمانلي إلى الداي حسين حيث تكشف هذه المراسلة عن وعي استخباراتي مبكر لدى حكام المغرب العربي بالمكر السياسي للاحتلال الفرنسي. يبرز النص باطنيا رصد التحركات الدبلوماسية للتفاصيل وتحذير الجزائر منها، مما ينفي ادعاءات الاستعمار بأن الجزائر كانت تعيش عزلة أو فوضى سياسية، بل تؤكد المدرسة الجزائرية هنا على وجود تنسيق إقليمي واع بالمخاطر المحدقة. حيث تُوثق (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، صفحة 47) المراسلات تفاصيل دقيقة حول حركة السفن والدعم، مما يظهر أن السيادة الجزائرية كانت مدعومة بعمق مغاربي استراتيجي. يسعى الدكتور زوزو من خلال عرض هذه الوثيقة إلى الرد على المؤرخين الكولونياليين الذين همشوا دور المؤسسات الجزائرية، مؤكدا على قوة الروابط الرسمية التي كانت تربط الجزائر بمحيطها قبل (1830) م

وبالانتقال إلى (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، الصفحات 49–50) التي تناولت "منشور الماريشال كلوزيل إلى سكان الجزائر" نجد تحولا من لغة السيادة إلى لغة الحرب النفسية حيث يستهدف المنشور باطنيا إلى زعزعة الثقة في القيادات الوطنية وهو ما تسميه المدرسة الجزائرية بالسياسة التضليلية التي مهدت للاحتلال العسكري. ويستمر هذا التضليل في (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، صفحة 51) التي تناولت خطاب "مدير الشؤون العربية دو ماس" حيث يبرز النص سعي دوماس إلى إلغاء شرعية الوجهاء المحليين واستبدالهم بإدارة تابعة لفرنسا، مما يوثق البدايات الأولى لمؤسسة التبعية وتفكيك البنية الاجتماعية والسياسية للجزائر.

تناولت السلطة الاستعمارية في هذا النص اللغة الدينية حيث تدعي إلى الحفاظ على الشريعة والعدل والمساواة يهدف هذا الخطاب إلى تخدير الوازع الديني والوطني لدى السكان لضمان عدم حدوث مقاومة شعبية فورية أثناء عملية الانزال حيث ترى المدرسة الجزائرية أن فرنسا حاولت سرقة الشرعية من السلطة الوطنية عبر ادعاء حماية الدين والشريعة. (زوزو، 2010، صفحة 55)

وينتقل ليوثق النص "إعلام عموم" أصدره "الجنرال كلوزيل clauzel " يقضي بعزل "مصطفى باي" وتعيين بديل له بهدف تفكيك مؤسسات الدولة الجزائرية واستبدالها بنخبة إدارية موالية للمحتل. (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، صفحة 56)

يتطرق لتناول خطاب موجه لأهل الجزائر يركز على تحقير العساكر الأتراك ووصفهم بالشياطين والهاربين وإظهار المحتل الفرنسي في صورة المنقذ والمحرر للسكان الأصليين كما تناولت شهادات وتواقيع كبار المفتيين حول واقعة السلم والهدنة. يؤكد عبد الحميد زوزو أن هذه الوثيقة لا تعتبر اعترافا بشرعية الاحتلال. (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، صفحة 57)

بعد إتمام دراسة المجموعة الأولى ننتقل إلى المجموعة الثانية بعنوان "المعاهدات" شملت المجموعة معاهدة ورسالة لدينا:

المعاهدة الجزائرية البرتغالية لسنة 1813: وهي تجسيد لمعاهدة جديدة مع الجزائر بهدف لتحرير الأسرى البرتغاليين وضمان الأمن البحري في البحر المتوسط، قامت البرتغال بجمع تبرعات كبيرة بين (1811 – 1814م) لهذا الغرض وبما أن البرتغال لم يكن لها تمثيل دبلوماسي في الجزائر

تدخلت بريطانيا كوسيط، حيث نجح قنصلها الداي بتوقيع معاهدة صلح بتاريخ 14 جويلية (1813م) المعاهدة 16 مادة (بلقاسم، 2022، الصفحات 357-362).

ويستعرض معاهدة الجزائر بتاريخ 5 جويلية (1830م) تصف استسلام الجزائر للجيش الفرنسي بشكل رسمي، حيث تنص على تسليم الحصون وميناء القصبة إلى الفرنسيين، مع ضمان حرية وحماية الداي وأسرته وثرواته الشخصية. كما تضمن حماية جنود الانكشارية والاحتفاظ بنفس الامتيازات لهم ويؤكد على حرية ممارسة الدين الإسلامي وحماية جميع السكان (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900م)، 2010، الصفحات 69-72).

وبالانتقال إلى معاهدة دي ميشيل: بين الجنرال الحاكم الفرنسي والأمير عبد القادر تبرز حرص الطرفين على إرساء سلم دائم وتنظيم العلاقات بين العرب والفرنسيين فقد نصت المعاهدة على وقف النزاعات العسكرية وفرض مبدأ المودة بين الشعبين، مع تعيين قناصل من كل طرف في المدن الرئيسية لتسهيل التواصل ومنع النزاعات. كما أكدت على حماية الدين الإسلامي واحترام العادات والتقاليد وإطلاق سراح الأسرى من الطرفين وتنظيم الأسواق كما نصت على حماية المسافرين وإصدار تذاكر رسمية لضمان سلامتهم (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900م)، 2010، الصفحات 74-84).

ولدينا كذلك معاهدة التافنة حيث نجد في مقال للمؤرخ محمد رزيق [1] جاءت مكتوبة في صفحتين ووقعت من الطرفين (بيجو والأمير عبد القادر) كما تظهر المعاهدة تاريخا هجريا فقط في مقابل ذلك تجد في نسخة الأصلية المعاهدة كانت محررة باللغتين العربية والفرنسية في صفحة واحدة نجد الأمير عبد القادر وقع وختم على الجزء العربي أما الجنرال بيجو وقع وختم رسميا على الجزء الفرنسي (رزيق، 2014، صفحة 150).

[1] محمد رزيق: مؤرخ وباحث جزائري معاصر، اهتم بدراسة تاريخ الجزائر خلال الفترة الاستعمارية.

رسالة أحمد باي إلى الماريشال فالي: تظهر حرصه على حماية سيادة الجزائر والدفاع عن مصالحها كما يعبر عن رغبته في الصلح والمودة بين الأطراف مع الحفاظ على استقلالية الجزائر. الرسالة تبرز الدبلوماسية الذكية للمقاومة الجزائرية، التي تجمع بين القوة السياسية و الالتزام الرسمي وتعكس قدرة القادة على إدارة العلاقة مع القوى الاستعمارية دون التخلي عن السيادة الوطنية (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، صفحة 91)

وأخيرا رسالة من بوعمامة إلى حاكم الجزائر حول قضية "الأمان": تعكس حرصه على طلب الأمان والحماية من السلطات الجزائرية بعد تهديدات واجهها ورغبته في السلام واستقرار حياته وحياة من معه. الرسالة تظهر دور الدولة الجزائرية في تنظيم المجتمع وتطبيق العدل وحماية المواطنين حتى في مناطق بعيدة (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، صفحة 94).

- **المجموعة الثالثة بعنوان الناحية الاجتماعية والاقتصادية:**

يركز المؤلف على عدة عناصر أساسية يربطها بين الواقع المعيشي والسياسات الاستعمارية الممنهجة حيث تناول أولا: صورة عن طبائع وعرف البربر تناول المؤرخ فيها وصفا دقيقا للباس الرجل والمرأة البربرية، مركزا على القشابية وطريقة حياكته واستخداماته صيفا وشتاء إضافة إلى عادات الأكل (الزيتون، التين، البلوط) ونمط النوم حول الموقد. المدرسة الجزائرية هنا تحاول إثبات أصالة الشخصية الوطنية والارتباط بالأرض والمادة المحلية (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، صفحة 99)

ويتطرق إلى الأسواق والمقاهي: ينظر إليهم على أنهما برلمانات شعبية وفي وقت كان فيه العمل السياسي المنظم مقيدا أو مشروطا كانت هي الأماكن التي يتم فيها تبادل الأخبار حيث لم

يكن عفويا بل كان وسيلة لتناقل أخبار المقاومة والتحركات الاستعمارية أما من ناحية الأغاني الشعبية كانت تشحذ الهمم وتذكر بالأمجاد (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، الصفحات 101–103).

ويتحدث عن المجاعة سنة (1866، 1867م) نجد في مقال للمؤرخ لونيسي ابراهيم [1]أن من أسباب المجاعة ارتبطت في ظاهرها باجتياح الجراد الذي مس مختلف مناطق البلاد، مبرزة في الوقت نفسه تدخل الإدارة الفرنسية لتقديم المساعدات بأمر من نابليون الثالث [2] (لونيسي، 2022، صفحة 27)

ولا تقتصر مأساة هذه المجاعة على كونها مجرد أزمة عابرة فرضتها الطبيعة بل إنها كشفت عن انتشار البؤس بين الأهالي راجع إلى السياسة الاستعمارية التي تمثلت في تجميد رأس المال الفلاح الوحيد الذي كان يمتلكه الجزائريون وهو الأرض والماشية، تعمدت المنظومة القانونية الاستعمارية ابقاء الملكية العقارية غير مسجلة كملكية فردية وهي سياسة هدفت إلى تجريد الفلاح الجزائري من وسائله الإنتاجية ودفعه نحو الانهيار الاجتماعي (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، الصفحات 107–113) ولا يمكن فصل حالة البؤس العام التي تخبط فيها الأهالي عن المنظومة المالية القهرية التي فرضها الاحتلال فإذا كان القحط والجراد قد أضعفا القدرة الإنتاجية، فإن السياسة الضريبية تعتبر الأداة المباشرة التي حولت بؤس السكان إلى استنزاف مالي منظم لا يرحم ظروف الفلاح وأزماته،مما ولدت هذه السياسة الضريبية المجحفة حالة من السخط الشعبي العام، إذ لم يقف الجزائريون مكتوفي الأيدي أمام استنزاف ممتلكاتهم بل سارعوا إلى استخدام القنوات المتاحة للتعبير عن رفضهم وهو ما يفسر تصاعد وتيرة الشكاوى إلى تضييق الخناق على الفلاح الجزائري مما دفعه مكرها تحت وطأة

[1] لونيسي ابراهيم: مؤرخ وباحث جزائري، عرف باهتمامه الكبير بتاريخ منطقة الأوراس والمقاومة الشعبية.
[2] نابليون الثالث: امبراطور فرنسا (1852 - 1870) وابن أخ نابليون بونابرت.

الحاجة الماسة للبقاء إلى البحث عن حلول يائسة حيث برز اللجوء إلى الاقتراض الربوي كخيار أملته الظروف القاسية (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، الصفحات 125–127)

المجموعة الرابعة الخاصة بالمقاومة: التي تتناول مظاهر التصدي الشعبي والعسكري للاحتلال الفرنسي في مختلف مناطق الجزائر، منذ بداية الغزو إلى امتداده نحو الداخل والصحراء.

والبداية بعرض ظهور العمارة الفرنسية" لحظة نزول الجيش الفرنسي في سيدي فرج سنة (1830م)، حيث يبرز عنصر المفاجأة وسوء استعداد السلطة العثمانية، إذ لم يتم التعامل بجدية مع الخطر في بدايته مما أدى إلى هزيمة سريعة (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، الصفحات 131–132)

ثم ينتقل إلى "محاولة استرجاع مستغانم"، حيث يظهر دور الأمير عبد القادر في تنظيم المقاومة وتعبئة القبائل وتوحيد الصفوف ورغم الحماس الشعبي، إلا أن التفوق العسكري الفرنسي حال دون استرجاع المدينة. قام هنا المؤرخ بإعادة الاعتبار للقيادات الوطنية باعتبارها رمزا للمقاومة المنظمة وبناء الدولة، مع إبراز دور الشعب في دعمه (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، صفحة 134).

أما في نموذج مقاومة المدن (قسنطينة) فيظهر زوزو مستوى عالٍ من التنظيم الدفاعي حيث شارك السكان إلى جانب الجيش في حماية المدينة، مع اتخاذ إجراءات عسكرية دقيقة وهذا يعكس تصور المدرسة الجزائرية للتاريخ باعتباره نتاجا جماعيا حيث يصبح الشعب فاعلا أساسيا في الحدث التاريخي، وليس مجرد عنصر تابع للسلطة أو القيادة (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، الصفحات 136–137).

وفي "المقاومة في أقصى جنوب الصحراء": يبرز زوزو تعقد الوضع السياسي من خلال تباين مواقف القبائل بين المقاومة والولاء أو التردد وهو ما يؤكد أن المقاومة الوطنية اتخذت أشكال متعددة بحسب الخصوصيات الجغرافية والسياسية، مع إدماج الجنوب كجزء لا يتجزأ من التاريخ الوطني (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، الصفحات 139–141).

كما تعكس رسالة من "املوكال إلى الحاكم الفرنسي" طبيعة العلاقات المركبة مع الاستعمار، حيث تجمع بين الحذر والتفاوض وطلب الدعم العسكري (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، الصفحات 142–143) وأخيرا تظهر "دعوة الجهاد" البعد الديني في المقاومة، حيث استخدم الخطاب الديني باعتباره عنصرا أساسيا في تحريك المقاومة وربطها بالهوية كوسيلة لتعبئة القبائل وتحفيزها على القتال خاصة في ثورة بوعمامة (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، صفحة 145).

المجموعة الخامسة التي تناولت "سياسة الاستيطان ومصادرة الأرض": من خلال عرض وثائق رسمية ورسائل وشهادات، وهو اختيار يعكس بوضوح منهج زوزو القائم على توظيف المصدر التاريخي المباشر؛ حيث يبدأ بـ "نداء للراغبين في الهجرة إلى الجزائر" يوضح النص شروط تقديم الطلبات للمعمرين الراغبين في الاستقرار، بحيث يجب أن يرفق الطلب بمعلومات دقيقة عن الشخص وعائلته وموارده المالية وأعمار أولاده وقدرته على العمل والزراعة. كما تبين الوثائق أن الحكومة الفرنسية كانت توفر للمستفيدين الدعم المؤقت، من توفير مساكن خشبية ومواد للبناء وبذور للزراعة وحتى دواب للحرث لضمان استقرارهم واستغلال الأراضي الممنوحة،

مما يعكس تخطيط الإدارة الفرنسية الدقيق للاستيطان (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، الصفحات 149–153).

بالانتقال إلى جدول (ص 154) يوضح مراحل ونتائج الاستيطان حيث يعرض الجدول المساحات الممنوحة وعدد السكان الأوروبيين وعدد السكان الأصليين بين (1830 – 1929م) كما يوضح معا زيادة المستوطنين الاروبيين بشكل مستمر، وهو ما يدل على أن عملية الاستعمار كان عملية منظمة ومدروسة وموجهة لتغيير التركيبة السكانية للجزائر وضمان السيطرة الاقتصادية والسياسية. ليأتي بعد ذلك قرار منح الأراضي حيث تبين الوثائق (ص 155 – 158) أن الإدارة كانت تمنح قطع الأراضي لمستفيدين محددين، مع تحديد الالتزامات المالية والزراعية والالتزام ببناء المساكن والزراعة خلال فترة زمنية محددة، كما كان على المستفيدين غرس الأشجار وتطوير الملكية، مما يوضح أن الاستيطان الفرنسي لم يكن عشوائيا بل مؤسساتي ومنظم.

بالإضافة إلى قرار إنشاء مركز استيطاني مثل مركز "لامبيز" في باتنة يوضح كيفية تأسيس قرى جديدة تضم مجموعة من المنازل والفلاحين والمرافق الأساسية مع ربطها بالطرق والمواصلات وإقامة دوريات أمنية ودعم من الدولة، مما يعكس المنهجية الفرنسية في إقامة مستعمرات متكاملة (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، الصفحات 155–159) ثم شهادات تسليم الأرض إلى مصلحة الاستيطان التي تؤكد رسمياً التحكم في الأراضي الممنوحة للمستعمرين وتوضح حدودها ومواقعها بما يضمن تسجيل الملكية وتحويلها للعقود النهائية بعد استيفاء الشروط، وهو ما يبرز من خلاله الجانب القانوني المزيف للاستيلاء على الأرض (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، صفحة 160).

وأيضا تطرقنا لمقتطفات من رسائل نابليون ونابليون الثالث، التي تحدد نوع المعمرين المستفيدين من القطع الأرضية، سواء كانوا عسكريين، فلاحين، أو تجار، مما يعكس استراتيجية الدولة الفرنسية لتوطين مجتمع أوروبي متكامل في الجزائر (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900م)، 2010، الصفحات 161-164) واخيرا نموذج للشكوى يبين موقف السكان من مصادرة أراضيهم، حيث يظهر السكان رفضهم لمصادرة أراضيهم وطلبهم التعويض أو استرجاع الأراضي، مما يبرز دور السكان الأصليين كفاعل تاريخي في مقاومة الاستعمار (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900م)، 2010، الصفحات 167-168).

- **المجموعة السادسة بعنوان "الإدارة":**

حيث بدأ الحديث حول آراء حول طريقة حكم الجزائر، تجد أن الإدارة الفرنسية واجهت صعوبة كبيرة في فرض قوانينها على السكان المحليين؛ إذ أدى النظام التشريعي إلى إرهاق الأهالي وخلق فجوات بين تطبيق القانون وواقع الناس، كما يبيّن تقرير "جول فيري" أن الاندماج فرض ضريبة ثقيلة على السكان لصالح موظفي الدولة ورجال الأعمال، مما أدى إلى شعور السكان بالتعب من القوانين المدنية، وفتح الباب للضغط الاجتماعي والاقتصادي (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900م)، 2010، الصفحات 173-176) كما تطرق إلى وثيقة "شكوى ضد قائد" التي يظهر من خلالها أن الشكاوى الأهالي كانوا يرفعون اعتراضات رسمية على تصرفات بعض القادة، مثل اعتراض جماعة "دوار أولاد موسى" على التعويض عن أراضيهم، حيث طالبوا بالعدالة في توزيع التراب الموعود لهم، مما يعكس رغبتهم في حماية حقوقهم من استغلال المسؤولين كما تطرق إلى المهام القياد الذين كانوا مسؤولين عن نقل الأخبار والشكاوي للسلطات العليا، ومراقبة أي نشاط قد يؤدي إلى اضطرابات، كما ظهر في محاضر

الاجتماعات والتقارير المرسلة إلى الحاكم العسكري، لضمان أن تكون الإدارة على اطلاع دائم بما يتحدث بين السكان (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، الصفحات 181–184) كما تحدث عن "محضر اجتماع لجماعة دوار" مثل اجتماع "دوار أولاد موسى" عام (1902م)، حيث ناقش المجتمعون مسائل التعويض عن الأراضي وتسليمها للدولة، وأعربوا عن رفضهم للفصل أو التغيير في الأراضي الموعودة لهم، وهو ما يظهر تدخل السكان المحليين في الدفاع عن حقوقهم ومصالحهم أمام الإدارة الفرنسية (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، الصفحات 185–186).

كما يتحدث المؤلف عن "مجلس جماعة تابع لبلدية عسكرية" مثل جماعات جبل شرشال، ناجبوت، وغيرهم حيث كان لكل دوار شيخ أو آغا ورئساء مع كبار القبيلة، ويعين الكاتب عادة من بينهم. كان المجلس مسؤولا عن تنظيم شؤون الدوار، متابعة الشكاوى وضمان تطبيق تعليمات الإدارة الفرنسية بشكل فعال (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، الصفحات 187–189).

المجموعة السابعة التي تناولت التدابير القمعية والاجراءات الاستثنائية: تعكس طبيعة السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، التي قامت أساسا على القمع المنظم بدل الادماج؛ حيث لجأت الإدارة الاستعمارية إلى قوانين استثنائية وتطبيق إجراءات صارمة بهدف إخضاع المجتمع الجزائري وكسر روح المقاومة فيه، فقد كان مصير كل من عبر عن رفضه الاحتلال السجن والمحاكمة العسكرية القاسية في حين استخدم النفي والابعاد كوسيلة لإقصاء القيادات الدينية والاجتماعية المؤثرة وتفكيك البنية الداخلية للمجتمع. كما تكشف رسائل السجناء وطلبات العفو عن حجم المعاناة التي عاشها الجزائريون داخل المعتقلات وعن حجم المعاناة التي عاشها الجزائريون داخل المعتقلات، وعن لجوئهم أحيانا إلى التوسل كوسيلة للبقاء في ظل نظام

استعماري. ومن جهة أخرى يبرز الحجز الجماعي والغرامات الحربية الطابع الانتقامي والاستغلالي للاستعمار، حيث عرفت قبائل بأكملها بمبالغ ضخمة ومصادرات للأراضي، مما أدى إلى إنهاكها اقتصادياً وإضعاف قدرتها على المقاومة. كما تعكس نصوص قانون الغابات سياسة التحكم في الموارد الطبيعية ومنع الأهالي من استغلال أراضيهم، في إطار مشروع استيطاني يهدف إلى تحويل الثروات لصالح المعمرين. وتظهر كذلك محاكمات شخصيات مثل "سي صدوق بلحاج" تهم سياسته وإصدار أحكام قاسية لترهيب السكان. وعليه، تؤكد هذه النصوص مجتمعة، في ضوء مقاربة المدرسة التاريخية الجزائرية، أن الاستعمار الفرنسي لم يكن مشروعا حضاريا كما ادعى، بل نظاما استغلاليا قائما على العنف وتوظيف القانون والإدارة كأدوات للهيمنة والسيطرة على الإنسان والأرض (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، الصفحات 191–210)

المجموعة الثامنة الخاصة بالتعليم: تجد في كتاب للمؤرخ "أبو القاسم سعد الله" تناول أيضا مسألة التعليم ويظهر ذلك في فصله الرابع تحت عنوان التعليم ورجاله، حيث استعرض سياسة التعليم يذكر فيها أن الدولة في العهد العثماني لم تكن لها أي تدخل مباشر في التعليم فلم توجد وظائف رسمية لقطاع التعليم وكان التركيز منصبا على الاستقرار السياسي والدفاع عن الحدود. كما يؤكد أن وسائل التعليم تنوعت بين المؤسسات التقليدية كالكتاتيب والمساجد والمدارس والزوايا التي كانت تعتمد على التمويل الوقفي مشيرا إلى الدور الهام للمكتبات في حفظ التراث كما واضح أن المناهج التعليمية بقيت قائمة على التقليد والاستمرارية في العهد العثماني، مرتكزة على الحفاظ وتركيز على العلوم الشرعية واللغوية وكان السند أو الإجازة العلمية هي المقياس الأكاديمي (القاسم، 1998، الصفحات 313–339).

المجموعة التاسعة والأخيرة الخاصة بالديانات ومؤسساتها: تبرز هذه المجموعة التي تناولها عبد الحميد زوزو حول الديانات ومؤسساتها في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي صورا واضحة عن البعد الديني كأداة من أدوات السياسة الاستيطانية حيث يظهر من خلال عرضه لتطور الديانة المسيحية، خاصة المذهب الكاثوليكي والبروتستانتي، أن الإدارة الاستعمارية عملت على تنظيمها وتوسيع مؤسساتها (كنائس، مدارس، ملاجئ) بشكل ممنهج لخدمة الاستيطان الأوروبي وترسيخ الوجود الفرنسي ثقافيا وروحيا، إذ لم يكن الدين مجرد ممارسة روحية بل وسيلة لتوحيد المعمرين وخلق مجتمع أوروبي متماسك داخل الجزائر (زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900م)، 2010، الصفحات 241–250) في المقابل خضعت الديانة الإسلامية للمراقبة فبالرجوع للمؤرخ "مصطفى في مقاله "من معالم التحول الديني في مدينة الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي (1830 – 1850م) تحدث عن سعي فرنسا منذ الاحتلال للقضاء على الاسلام واختراق المجتمع الجزائري لدمجه في المجتمع الفرنسي من خلال استهدافها للمؤسسات الدينية الإسلامية وتحويلها عن وظيفتها مثل مدارس ومستشفيات ومخازن مما أدى إلى انتهاك حرمة المساجد والزوايا بشكل واضح. وقد تجاوز عدد المساجد التي تم تدميرها أو تحويلها أكثر من 30 مسجدا، وهو ما يعكس سياسة استعمارية ممنهجة تستهدف الهوية الدينية والثقافية للمجتمع الجزائري (محمد ق.، 2019، صفحة 140)

لقد استند "عبد الحميد زوزو" في مؤلفه "نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر" إلى قاعدة مصدرية ثرية ومتنوعة تعكس جهدا بحثيا دقيقا في استقصاء المادة التاريخية من أصولها الأولى، وقد تنوعت هذه المصادر بين أرشيفات عسكرية وإدارية ومراجع ووثائق صحفية، جاءت على النحو التالي:

فعلى صعيد الأرشيفات العسكرية والإدارية، اعتمد المؤلف بشكل مكثف على أرشيف وزارة الحربية الفرنسية بفانسين (A.M.G) لاسيما السلاسل المرموز لها بـ (H) مثل الملفات أرقام: (24، 179، 228، 230، 235). مما وفر مادة غنية حول الإدارة العسكرية. كما كان للأرشيف الوطني لما وراء البحار (A.O.M) نصيب وافر في التوثيق، حيث استند إلى ملفات متنوعة تشمل المجموعات (L1) و (16H) و (14H) و (12KK)(30L) و (1KK) و (8X) بالإضافة إلى ملفات مثل الملف (3079) الذي يحتوي على مراسلات تاريخية هامة، منها نسخة لرسالة أرسلها الشيخ بوعمامة إلى قائد مركز الفليعة في 30 جانفي 1892م كما استعان بالأرشيف الوطني الفرنسي بباريس (الملف 235.4). كما وظف الكاتب رصيدا من المكتبة الوطنية، لاسيما المصنفات المسجلة تحت رقم (Res/LK 1319)، بالإضافة إلى مراجع تاريخية ومؤلفات معاصرة لفترة الاستعمار أو قريبة منها، نذكر منها: "ج. إيسكير" (G. Esquer)، كتابات "شارل ريتشارد"[1] (Charles Richard) حول الحكومة العربية ، "فرانسوا أوغرنيه" [2](François Augohnet) رئيس مكتب عربي ومؤلفات حول القضايا الاجتماعية والزراعية مثل السبع آفات في الجزائر لـ "فرانسوا جورجو" [3] (François Georgion)

كما تم الرجوع إلى موسوعة "مئة عام من الاستعمار الفرنسي في الجزائر" الصادرة عام 1930م، وبعض المصادر الصحفية الوطنية مثل جريدة "المبشر" في عددها الصادر بتاريخ 29 جويلية 1882م بالإضافة إلى إشارات لمركز "المركز الوطني للجزائر للدراسات التاريخية".

2. كتاب: محطات في تاريخ الجزائر (دراسة الحركة الوطنية والثورة التحريرية):

[1] شارل ريتشارد: ضابط أو موظف فرنسي في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية، ورد اسمه في سياق الوثائق الرسمية أو الأحداث المرتبطة بالإدارة الاستعمارية.
[2] فرانسوا أوغرنيه: إداري فرنسي خلال الفترة الاستعمارية في الجزائر ورد اسمه في بعض الوثائق الأرشيفية المرتبطة بالتنظيم العسكري والإداري.
[3] فرانسوا جورجو: شخصية فرنسية ارتبطت بالوجود الاستعماري في الجزائر، ذُكرت في بعض التقارير أو المصادر التاريخية المتعلقة بإدارة الشؤون المحلية.

دراسة باطنية

المحور الاول

تناول عبد الحميد زوزو في مستهل هذا المحور ابعاد السيادة الجزائرية من خلال هدنة 1810 و معاهدة 1813 بين الجزائر والبرتغال حيث لم تكتفي بسرد نصوص المعاهدات بل اجرت دراسة اثبتت من خلالها ان الجزائر كانت تمتلك كيانا قانونيا متكامل يفرض شروطه على القوى الاروبية مقابل السلم والملاحة وهو ما يظهرجليا في رساله ملك البرتغال الموجهة الى الجزائر هذا الطرح يربط المؤلف مباشرة بالمدرسة التاريخية الجزائرية التي تسعى جاهدة لتحطيم اسطورة الارض المشاع [1] (زوزو، 2004، الصفحات 39-81) كما نجد في مرجع اخر وهو مقال ل قرباش بلقاسم الذي اكد من خلاله ان هذه المعاهدات هي دليل قاطع على سيادة الدولة الجزائرية واعتراف صريح لمؤسساتها وقوانينها (بلقاسم، 2022، الصفحات 6-9-11) و واصل حديثه بالانتقال من الجهة الدبلوماسية إلى الجهة الداخلية حيث أشار إلى الأوضاع في منطقة ورقلة وواحة نقوسة[2] شارحا كيف كانت هذه المناطق تمثل العمق الاستراتيجي للدولة ومن خلال تحليله لهذه التقارير بين زوزو ان الاطماع الاستعمارية لم تكن محصورة في السواحل بل كانت تهدف لتمزيق الوحدة الترابية والسيطرة على المسالك التجارية الصحراوية وهذا التوجه يعكس مبدأ شمولية المقاومة في المدرسة الوطنية مؤكدا أن الدفاع عن الوطن كان وحدة واحدة لا تتجزأ بين الشمال والجنوب (زوزو، 2004، الصفحات 83-105).

وختم زوزو هذا المحمور بالتركيز على الأصالة التوثيقية حيث استعرض في تقييدات ابن عيسى عن حصاري قسنطينة " رسالة السلطان عبد الرحمان شيخ توقرت" حيث كشف المؤلف عن وجود

[1] الارض المشاع هو اخطر كذبة قانونية استعملها الاستعمار الاوروبي وتحديدا فرنسا في الجزائر لتبربر احتلالها في فكر الاستعمار كانت تعني ان هذه الارض ليست دولة بل هي مجرد مساحات

[2] واحة نقوسة تقع في شمال مدينة ورقلة وهي اقدم الحواضر في حوض ورقلة بالجنوب الشرقي الجزائري

وعي اداري سياسي رفيع لدى النخب المحلية فإبن عيسى بشهاداته من الداخل وشيخ توقرت بمراسلاته "للجنرال فورال" يقدمان رواية جزائرية أصلية تعارض زيق الأرشيف الاستعماري هذا بالاعتماد الكلي على المصدر المحلي هو جوهر منهج المدرسة التاريخية الجزائرية التي تهدف الى تأميم التاريخ الوطني واعادة الاعتبار للصوت اللجزائري كصانع للأحداث وليس مجرد مفعول به في تقارير الجنرالات الفرنسيين (زوزو، 2004، الصفحات 106-119).

المحور الثاني:

يتناول عبد الحميد زوزو في سياق حديثه في ثورة بوعمامة في الجنوب الغربي (1881 – 1906) من مسيرة العقيد ايتوسانتي ومخطط معركة تازينة حيث اشار الى العبقرية التكنيكية التي أبداها الشيخ بوعمامة في عملية الاستدراج المكاني للعدو نحو منطقة تازينة وفقا لما اكده عبد القادر خليفي في مقاله الشيخ بوعمامة في صحيفة البرلمان المصرية ان الشيخ بوعمامة استغل شبكة استخباراتية دقيقة لرصد تحركات قوات الكولونيل اونسنتي ثم نفذ مبادرة تضليلية ناجحة حيث اوهم القوات الفرنسية بالانسحاب عبر ترك خط من جنود المناوشة لتثبيت العدو في موقعه (خليفي، 2024، صفحة 159)

كما تناول عبد الحميد زوزو وبالتفصيل مخطط معركة تازينة في ملاحق دراسته (انظر الملحق ص 150 مخطط معركة تازينة وأشار من خلاله إلى دقة التنظيم اللوجستي وتوزيع المهام القتالية التي اعتمدها الشيخ بوعمامة مما يعكس نضج القيادة الشعبية في مواجهة الجنرالات المحترفين (زوزو، 2004، صفحة 150).

وفي جانب آخر تناول زوزو بالدراسة والتمحيص وسائل بوعمامة (رسالة الجهاد) واشار الى الدور الجوهري الذي لعبه الخطاب الديني في تذويب الفوارق القبلية وصهر المكونات الاجتماعية للمنطقة مؤكدا ان الثورة لم تكن حركة عفوية بل كانت ذات اهداف سياسية ودينية واعية وواضحة

المعالم كما اشار الكاتب إلى أن بوعمامة استند إلى ثنائية العروبة و الاسلام كركيزة ايدولوجية صلبة معتبرا إياه الحصن المنيع الذي حال دون ذوبان الهوية الجزائرية في المشروع الاستيطاني الفرنسي وهو ما ينسجم تماما مع طرح المدرسة التاريخية الجزائرية التي ترى في العقيدة الدينية محركا أساسيا للمقاومة والبقاء الحضاري (زوزو، 2004، صفحة 175).

المحور الثالث:

تناول عبد الحميد زوزو في تحليله لعنوان (الجديد في حركة الثامن ماي) في ذكراها الخمسين: (زوزو، 2004، صفحة 206)أحداث الثامن من ماي 1945 باعتبارها المنعرج الحاسم الذي فك الارتباط نهائيا مع أوهام النضال السلمي وأشار إلى تباين المواقف السياسية الجزائرية حيال هذه الفاجعة منتقدا موقف الحزب الشيوعي الجزائري الذي سقط في فخ الايديولوجية الضيقة حين وصف المتظاهرين بالعناصر الفاشية، كما أشار إلى حالة الارتباك التي أصابت الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بقيادة فرحات عباس والذي وجد اطروحته الاعتدالية تنهار أمام وحشية القمع الاستعماري مما عزز في النهاية عقيدة حتمية للثورة التي تتبنتها المدرسة الجزائرية كشهادة ميلاد للحل المسلح (زوزو، 2004، صفحة 206).

وفي سياق التدليل الوثائقي على هذه الحتمية ، تناول الكاتب تقرير الجنرال دوفال وهو ما فسره قاسمي زيدين [1]في مقاله، بأنه دوفال اعتبر الوضع بعد المجازر خطير جدا ومنذر بلانفجار وهو ما جعله يطلب دعما أمنيا مكثفا شمل استقدام 1200 إطار شرطي لتطويق المنطق (الدين، 2026، الصفحات 102-103) .

[1] قاسمي زيدون: هو باحث أكاديمي جزائري يعمل في جامعة العقيد آكلي محند أولحاج بالبويرة يهتم بالبحث في التاريخ الحديث والمعاصر لاسيما القضايا المتعلقة بجرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

وفي الجانب الهوياتي تناول زوزو قضية فصل الدين عن الدولة من خلال مذكرة جمعية العلماء وأشار إلى أن نضال الجمعية جاء للحفاظ على استقلالية المساجد والتعليم العربي معتبرا ان محاولات فرنسا لتتحكم في الحقل الديني كانت استراتيجية تهدف لضرب الشخصية الوطنية واشار أيضا إلى أن الكفاح الاصلاحي في الدفاع عن الاسلام واللغة لم يكن منفصلا عن المسار الثوري (زوزو، 2004، صفحة 375).

وهو ما تضعه المدرسة الجزائرية في صلب تاريخ الحركة الوطنية كركيزة اساسية مهدت لاندلاع الكفاح المسلح بنجاح.

المحور الرابع :

لقد توغل عبد الحميد زوزو في عمق الظاهرة التنظيمية للثورة التحريرية حيث تناول مؤتمر الصومام وقضية أولوية السياسي على العسكري، وأشار إلى أن عبقرية المؤتمر لم تكن في مجرد توزيع الرتب بل في عقلنة الفعل الثوري، إذ نقل الثورة من شتات المبادرات المحلية إلى وحدة المؤسسة الوطنية وواصل حديثه عن هذا الانتقال الهيكلي مبينا أن إنشاء المجلس الوطني للثورة كان بمثابة البرلمان الثوري الذي منح الشرعية للقرارات وهو ما تفتخر به المدرسة الجزائرية بدليل أن الثورة امتلكت نظاما جمهوريا في قلب الجبال متفوقة بذلك على الدعاية الاستعمارية التي حاولت تصوير الثورات كجماعات خارجة عن القانون (زوزو، 2004، صفحة 500) ويظهر هذا النضج المؤسساتي جليا في (الملحق 500) ملخص قرارات الصومام وفي جانب آخر متعلق بالمسارات المادية تناول الكاتب بدقة ميزانية جبهة التحرير

والمكاتب الديبلوماسية، واشار من خلاله إلى أن الثورة الجزائرية كانت تدير اقتصاد حرب متكامل الاركان حيث كشف بالأرقام والرسوم عن قنوات التمويل واشتراكات الشعب التي كانت تنفق بدقة على التسليح والبعثات الدبلوماسية وواصل حديثه عن هذه الادارة المالية مؤكدا انها كانت العمود

الفقري للشرعية الدولية فالدولة التي لا تستطيع جباية الضرائب وتوزيع الميزانيات وتيسير المكاتب في عواصم كبرى هي دولة قائمة فعليا وليست مجرد حركة تمرد واشار الكاتب في هذه الصور الى أن المدرسة الجزائرية تركز على هذا الجانب المالي لاثبات ان جبهة التحرير كانت الممثل الشرعي والوحيد القادر على تحمل مسوولیات الدولة ,وهو ماوثقه المؤلف عبر الملحق ص 561 (رسم تقريبي الميزانية جبهة التحرير)

والذي يوضح المسار الاحترافي للأموال الوطنية (زوزو، 2004، صفحة 561).

عند إخضاع الدراسات الواردة في كتاب محطات تاريخ الجزائر للدكتور عبد الحميد زوزو للتحليل الباطني يتضح جليا أن المؤلف لم يعتمد على القراءة الوصفية للاحداث بل خاض في عمق الخلفيات السياسية والفكرية الحركة الوطنية ويظهر هذا الانضباط المنهجي من خلال عودة الباحث إلى المصادر الحزبية الأصلية ومذكرات الفاعلين الأساسين في الثورة التحريرية بالاضافة إلى استنطاق الارشيف الاستعماري الفرنسي.

وبالإنتقال من ضفة المصادر إلى رحاب مراجع أخرى في المسألة ذاتها نجد أن الدكتور "عمار بوحوش" في كتابه "التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م"، إستند على مجموعة من المصادر حيث استقى معلوماته من أرصدة أرشيفية دولية وجامعية، ودمج بين الوثائق الرسمية وبين مذكرات وشهادات قادة الثورة والحركة الوطنية (أمثال بن يوسف بن خدة، بلعيد عبد السلام) إضافة إلى إنفتاحه على الدراسات الأجنبية والفرنسية المعاصرة للأحداث.

وانطلاقاً من هذه المصادر تناول "عمار بوحوش" عنصر التحول من النضال السياسي إلى العمل الثوري فهو يعد نقطة ارتكاز جوهرية في كتابه حيث أفرد لها حيزاً تحليلياً دقيقاً عند دراسته لأزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية معتبراً أن حالة الانسداد المؤسساتي داخل الحزب هي التي سرعت بظهور اللجنة الثورية للوحدة والعمل كبديل تنظيمي حتمي. وبالإسقاط

إســـقاط ما قدمه "عبد الحميد زوزو" في كتابه "محطات في تاريخ الجزائر دراســـات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية" نجد نوعاً من التكامل المنهجي، فبينما يركز "عمار بوحوش" على التحليل السياسي الشامل والمؤسساتي لنشأة الدولة والحركة الوطنية مستفيداً من المراجع الأجنبية نجد أن "زوزو" يتعمق أكثر في الدراسات المونوغرافية وللنصوص التاريخية المحلية، مما يجعل المرجعين يتوافقان في النتائج الكبرى المتعلق بمسار الثورة التحريرية ويختلفان في زاوية المعالجة بين شمولية " بوحوش" السياسية وتخصص زوزو التاريخي الدقيق.

3/ كتاب المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة.

دراسة باطنية:

تحدث عبد الحميد زوزو في المحور الأول عن الجذور العميقة للهوية الوطنية حيث يرى أن الهوية لم تكن مجرد شعارات بل كانت عمود المقاومة الاول الذي حافظ على كيان الدولة قبل استرجاع سيادتها وواصل الكاتب تحليله بالتركيز على الثوابت الثلاثة (الإسلام والعروبة والامازيغية) كركيزة اولى للدولة (زوزو، 2010، صفحة 9) في السياق نفسه أكد الباحث نجيب الربيعي على أن هذه المسالة تعد من اكثر القضايا الراهنة حساسية بما يتوجب وضع اطر سليمة تحفظ الهوية (الربيعي، 2010، صفحة 1)

ثم أشار عبد الحميد زوزو إلى فلسفة الحكم من خلال مفاهيم النظام الجمهوري، والخيار الديمقراطي موضحا أن تبني هذه المفاهيم لم يكن مجرد استنساخ لتجارب الغربيين بل هو تأصيل لمدنية الدولة حيث يرى زوزو أن ممارسة الديمقراطية، والشورى داخل هياكل الحركة الوطنية، ومؤسسات الثورة كان بمثابة تمرين سياسي أدى لنضج فكرة الدولة المؤسساتية ليخلص الكاتب في ختام عرضه إلى أن هذه القيم لم تكن وليدة الصدفة بل هي نتاج تراكم فكري طويل ومعقد داخل مدرسة الثورة والحركة الوطنية. (زوزو، 2010، الصفحات 10-11)

وتتجلى علاقة هذا الطرح بالمدرسة التاريخية الجزائرية في اعتماد المنهج التحليلي فعبد الحميد زوزو لا يكتفي بسرد المبادئ، بل يعيد قراءتها بأدلة قانونية وتاريخية تثبت أن الثورة كانت تسلك مشروعا حضاريا ودستوريا متكاملا وهو ما يعد ردا مباشرا على المدرسة الإستعمارية التي حاولت تصوير الجزائر كأرض بلا تاريخ قبل عام 1830.

إضافة إلى:

المحور الثاني:

تناول عبد الحميد زوزو أيضا تحول النضال الوطني الجزائري منذ الثلاثينات حيث يرى المؤلفان محفوظ قداش ومحمد قنانش أن هذه المرحلة في نجم شمال إفريقيا 1926 –1937 كتابيهما حقبة مفصلية تمثل بطولة وتضحية رواد الوطنية الجزائرية (قنانش، 2013، صفحة 11)

يواصل عبد الحميد زوزو حديثه عن الأزمات الداخلية التي عصفت بالأحزاب الوطنية والتي فسرته الدكتورة سعاد بيشة شبوط بأنها كانت دليلا على الهشاشة التنظيمية وعجز الحزب عن احتواء الخلافات (شبوط، 2018، صفحة 133) ثم أشار إلى ما أسماه بالنقائص العقائدية والمذهبية التي ميزت تلك المرحلة مؤكدا أن غياب الوحدة الفكرية المطلقة كانت نتيجة طبيعية لتعدد المشارب الثقافية والسياسية ليخلص زوزو إلى أن الثورة لم تأت من فراغ.

بل كانت ثمرة الحلوة والمرة في آن واحد، لإخفاقات العمل السياسي الذي استنفذ وسائله القانونية أمام الإدارة استعمارية (زوزو، 2010، صفحة 124)

وتتجلى علاقة هذا الطرح بالمدرسة التاريخية الجزائرية في تبني رؤية التواصل التاريخي فعبد الحميد زوزو يرفض القطيعة بين النضال السياسي والكفاح المسلح بل يجعلهما قطعة واحدة متصلة. أما بالنسبة ل:

المحور الثالث:

تناول فيه عبد الحميد زوزو البعد الجغرافي للدولة الجزائرية حيث قدم شرحا يربط فيه بين الأرض والسيادة، ويتطابق هذا الطرح مع ما أورده مقال لـ " عمر" الوثائق الأساسية ابان الثورة التحريرية الجزائرية بأن ميثاق الصومام جاء ليعمق المبادئ التي رفعها (أول نوفمبر) بيان أول نوفمبر مؤكدا على وحدة الشعب والتراب الوطني ما فيها الصحراء (عمر، 2025، صفحة 402)

وواصل عبد الحميد زوزو تحليله بتناول علاقات الجزائر بمحيطها المغاربي وتحديدا مع المغرب وتونس من خلال تسليط الضوء على مؤتمر طنجة (زوزو، 2010، صفحة 26)مشيرا إلى أن هذا المؤتمر كان محطة لاختيار وحدة المصير المغاربي في مواجهة المخططات الاستعمارية المكثفة التي استهدفت فصل الصحراء عن الجسد الجزائري (زوزو، 2010، صفحة 28)مؤكدا أن هذه المحاولات مثل مشروع المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية (OCRS) كانت تهدف لضرب الوحدة الترابية للدولة الناشئة ليخلص زوزو إلى التأكيد على أن وحدة التراب الوطني هي مرجعية سيادية لا تقبل المساومة وتتجلى علاقة هذا الطرح بالمدرسة التاريخية الجزائرية في تبني منهج التاريخ الجغرافي حيث يسعى المؤرخ الوطني لإثبات الحدود بالوثيقة والبرهان التاريخي الربط هنا يتضح في كون المدرسة الجزائرية تعتبر الصحراء قضية وجود وليس مجرد نزاع حدودي.

المحور الرابع:

استعرض عبد الحميد زوزو عبقرية التنظيم التي نتجت عن مؤتمر الصومام حيث اكد " زغيدي محمد الحسن" في كتابه مؤتمر الصومام 1956-1962 أن المؤتمر استطاع في النهاية أن يخرج بقرارات يتناول مختلف جوانب التنظيم للثورة (الزغيدي، 2009، صفحة 138)

وواصل زوزو الحديث عن عمليات الثورة من خلال تسليط الضوء على خلق الهيئة التشريعية والهيئة التنفيذية مشيرا إلى أن الجزائري كانت تمارس سيادتها البرلمانية والتنفيذية وهي لا تزال تحت نيران الاحتلال، وهو ما يعكس نضج الفكر السياسي للقادة الثوريين (زوزو، 2010، الصفحات 448-500).

ثم أشار المؤلف إلى هيكلة القطاعات الحيوية مثل الجيش والشرطة والقضاء شارحا أن هذه الأجهزة في خضم المعركة كان هدفها فرض بديل وطني يعوض الإدارة الاستعمارية ويشعر الشعب بأن دولته قائمة بالفعل (زوزو، 2010، الصفحات 54-55)ليخلص إلى أن الثورة نجحت في بناء دولة تحت الحرب تمتلك كافة الأركان السيادة القانونية والإدارية (زوزو، 2010، صفحة 500)

وتتجلى علاقة هذا الطرح بالمدرسة التاريخية الجزائرية في التركيز على التنظيم والشمولية فعبد الحميد زوزو هنا يطبق منهج تاريخ المؤسسات ليثبت بالوثائق والصفحات أن الجزائر استرجعت سيادتها بالتنظيم المحكم والقانون قبل أن تسترجعها بالبندقية.

المحور الخامس:

تناول عبد الحميد زوزو الرؤية المستقبلية للدولة من خلال البرامج الاقتصادية والاجتماعية حيث فسر بأن الثورة لم تكن تهدف لتحرير الأرض فقط بل لتحرير الإنسان الجزائري أيضاً فالمؤلف يحلل قضايا مثل الإصلاح الزراعي والتعليم وتحرير المرأة كأدوات لبناء مجتمع عصري متوازن، وواصل عبد الحميد زوزو تفصيل هذه الرؤية بالإشارة إلى أن الإصلاح الزراعي لم يكن

مجرد توزيع للأراضي بل كان استرجاعاً للسيادة الغذائية وكسر لشوكة المعمرين (زوزو، 2010، الصفحات 58-61).

ثم تناول بالدراسة العميقة العلاقات الخارجية والنشاط الدبلوماسي شارحا كيف نجحت الجزائر في انتزاع الشرعية الدولية وفرض قضيتها في المحافل العالمية حيث يرى زوزو أن الدبلوماسية كانت الجبهة الثانية التي خاضت معارك قانونية وسياسية أثبتت من خلالها الجزائر أنها دولة كاملة الحقوق ليخلص المؤلف إلى أن قوة الدولة الجزائرية الحديثة استمدت من قدرتها على الموازنة بين البناء الداخلي والاعتراف الخارجي (زوزو، 2010، صفحة 64).

تتجلى علاقة هذا الطرح بالمدرسة التاريخية الجزائرية في تبني منهج التاريخ الشامل فالمؤرخ هنا لا يحصر الثورة في العمل العسكري بل يبرز أبعادها التنموية والدولية وهو ما يعزز أطروحات المدرسة الجزائرية في تقديم الثورة كنموذج رائد لحركات التحرر.

المحور السادس:

استعرض عبد الحميد زوزو الجانب التوثيقي من خلال استعراض 17 وثيقة تاريخية هامة حيث يرى أن الوثيقة ليست مجرد ملحق تكميلي بل هي الشاهد المادي الذي يقطع الشك باليقين في إثبات شرعية الدولة فعبد الحميد زوزو ينتقل بالبحث من السرد التاريخي إلى الإثبات القانوني مستندا الى النصوص المفصلة بدءاً من دستور 1947 وصولا إلى بيانات المجلس الوطني للثورة، وواصل الكاتب تحليله بالإشارة إلى أن هذه الملاحق تلخص التطور المؤسساتي والسياسي للجزائر موضحا أن كل وثيقة تمثل محطة نضج في مسار استرجاع السيادة الوطنية ثم أشار إلى أن الملاحق والوثائق المرجعية تشكل في مجموعها الهوية القانونية التي تثبت عراقة ومرجعية الدولة الجزائرية الحديثة (زوزو، 2010، الصفحات 85-447).

وتتجلى علاقة هذا الطرح بالمدرسة التاريخية الجزائرية في تكريس منهج المدرسة الوثائقية حيث يبتعد المؤرخ الوطني عن العاطفة ليرتكز على الأرشيف كأداة للتحرر الفكري، وهنا يؤكد زوزو بأن التاريخ يكتب بالوثائق لا بالنيات.

من خلال استعراض المتن الوثائقي الذي أورده الدكتور عبد الحميد زوزو في مؤلفه "المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة – الدراسة الباطنية" نلمس ترابطا منطقيا في عرض المعطيات التاريخية حيث لم تكن هذه النصوص مجرد سرد بل عكست تنظيما إداريا وسياسيا دقيقا، وبالبحث في الأصول المنهجية لهذه المادة نجد أن الباحث قد استقى مادتها الخام مباشرة من مراكز الأرشيف الفرنسي كأرشيف "ما وراء البحار" بـ "إكس بروفانس" وتحديداً من التقارير العسكرية والمراسلات الرسمية للقادة الفرنسيين والمعاصرين للاحداث، إن الانتقال من تحليل هذه الوثائق إلى تقصي مصادرها الأصلية يؤكد لنا أن المرجعية التي بنى عليها المؤلف أطروحته تستند إلى وثائق حية غير منشورة تصل إلى مصاف المصادر الدولية.

ب/ قضايا الكفاح المسلح والثورة

1) كتاب "ثورة بوعمامة (1881 – 1908)"

– الدراسة الباطنية

الجزء الأول: جانبها العسكري (1881–1883)

لدراسة محتوى هذا الكتاب منهجيا قمنا بتجميع العناوين ضمن ثلاثة محاور رئيسية:

المحور الأول: يتناول السياق التاريخي والاجتماعي لثورة بوعمامة: بدأ المؤلف "عبد الحميد زوزو" المرحلة الأولى من ثورة الشيخ بوعمامة من جانبها العسكري، حيث يبرز الأهمية التاريخية لهذا الثورة بوصفها أطول الثورات الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، مع الإشارة إلى التهميش الذي

طالها في الدراسات التاريخية، مؤكدا اعتماد الوثائق الفرنسية لإبراز مدى تأثيرها، لينتقل إلى تسليط الضوء على بداية العمليات العسكرية والنجاحات الأولى التي حققها الثوار والتي أسهمت في تعزيز مكانة بوعمامة وتوسيع قاعدة دعمه الشعبي، حيث يوضح الاستراتيجية العسكرية التي اعتمدها والمتمثلة في حرب الكر والفر واستغلال المجال الصحراوي مقابل محاولات فرنسية لتطويق الثورة، مما يدل على أن هذه المرحلة كانت في مجملها لصالح بوعمامة (زوزو، 2010، الصفحات 7-10).

كما سعى إلى تقديم رؤية شاملة لثورة الشيخ بوعمامة، حيث أبرز الاستراتيجية الاستعمارية من المواجهة العسكرية إلى سياسة الاستمالة لتفكيك قاعدة الثورة، كما ركز على الأصول العائلية والنسب الشريف للشيخ بوعمامة وانتمائه إلى أولاد سيدي الشيخ، باعتبار ذلك مصدر أساسي للشرعية القيادية، لينتقل إلى تسليط الضوء على صورته في الصحافة العربية والدولية وعلى خصائصه الشخصية، مما يعكس مكانته الرمزية في الوعي الوطني (زوزو، 2010، الصفحات 34-41).

المحور الثاني: "ثم ركز على العمليات العسكرية": أبرز المؤلف المكانة الروحية التي يتمتع بها الشيخ بين أتباعه، وهو ما أسهم في تعبئة الأنصار وتعزيز الالتفاف الشعبي حوله، كما تؤكده بعض التقارير الفرنسية التي أشارت إلى تأثيره الكبير، بينما اكتفت السلطات الفرنسية بمراقبته ومنع زيارات زاويته دون اعتقاله. لتبدأ الثورة في (22 افريل 1931) بعد مقتل ضابط فرنسي أثناء محاولة اعتقال الطيب الجيلاني، مما أدى إلى انضمام قبائل عديدة إلى الثورة وتشكل موقعة مولاق (19 ماي 1881) (زوزو، 2010، الصفحات 11-13)، التي كانت انتصارا لثورة الشيخ بوعمامة وهزيمة لجيش الاحتلال الفرنسي (منور، 2006، صفحة 270) فقد اتبع الشيخ بوعمامة في مقاومته خطة عسكرية محكمة قائمة على حرب العصابات وضرب المصالح الاقتصادية

للاستعمار، مما أدى إلى انضمام القبائل لدعمه من مناطق مختلفة لمده بالرجال والسلاح والمؤن (منور، 2006، الصفحات 270-272).

لينتقل إلى النتائج المباشرة لموقعة "مولاق"، ومسيرة الشيخ بوعمامة نحو التل (ماي – 21جوان198). موضحا كيف حاولت السلطات الفرنسية التستر على حقيقة الهزيمة من خلال التقليل من عدد الضحايا ورفع معنويات الجيش، في حين عززت هذه الأحداث مكانة بوعمامة وشجعت القبائل على دعمه. ويبين "زوزو" أن نجاح المسيرة يعود لسرعة تنقل بوعمامة، ومعرفته بالمسالك الصحراوية، واستخدامه شبكة من العيون وأساليب التضليل العسكري، فضلا عن استقطاب القبائل المستقلة، ما جعله يتفوق على الجيش الفرنسي، وهذا يكشف أن الثورة لم تكن مجرد صراع عسكري بل تداخلت فيها أبعاد اجتماعية ودينية وسياسية، حيث جسدت ثورة شعبية شاملة ضد الاستعمار (زوزو، 2010، الصفحات 17-28).

المحور الثالث: بعنوان "الأسباب والنتائج": يتناول "زوزو" أسباب ثورة بوعمامة إذ يربط اندلاع الثورة بالتوغل الاستعماري الفرنسي في الجنوب الغربي عبر إنشاء المراكز العسكرية ومد خطوط ومحاولاته السيطرة على المجال الصحراوي، وهو ما مثل تهديدامباشرا لبنية المجتمع المحلي ودفع القبائل إلى مقاومة جماعية دفاعا عن الأرض والهوية. كما يبرز العامل الاجتماعي المتمثل في التنافس بين فروع كقائد يجمع بين الشرعية الدينية والقيادة العسكرية، مدعوما بمكانته الروحية ونسبه الصوفي الذي عزز التفاف القبائل حوله. ويضيف أيضا البعد الروحي الذي منح الثورة قوة رمزية من خلال فكرة البركة والشرعية الدينية، مما ساعد على تعبئة الأنصار وتوسيع نطاق التأييد. كما ساهمت النجاحات العسكرية الأولى خاصة معركة "مولاق"، في تدعيم مكانته القيادية وتقوية الثقة في حركته (زوزو، 2010، الصفحات 29-33).

وفي ختام ذلك رافق هذا الكتاب مجموعة من الملاحق، والخرائط، والصور التي تعتبر مصادر وثائقية هامة لا غنى عنها، حيث ساهمت في توضيح مسرح العمليات العسكرية، وتوثيق الوقائع التاريخية.

الجزء الثاني: جانبها السياسي (1881 – 1908)

اشتغل المؤرخ "زوزو" في هذا القسم من كتابه بوضع الأساس النظري للجانب السياسي لثورة بوعمامة في الفترة (1883–1908) حيث تناول أن الثورة السياسية انطلقت فعليا بعد هدوء الجبهة العسكرية مما يعكس نضجا في القيادة، كما تناول العلاقة المتوترة مع سلطات الاحتلال من خلال "قضية الأمان"، حيث يرى المؤرخ أن فرنسا حاولت استدراج الشيخ بوعمامة لمعاهدات هشة، لكنه واجهها بندية ودبلوماسية واضحة، متمسكا بكرامة شعبه وسيادته الروحية. كما تناول العمق الاستراتيجي للثورة حيث يوضح زوزو أن بوعمامة لم يحصر نشاطه في منطقة معينة بل مد جسور التواصل مع قبائل الشعانبة والتوارق في الصحراء محولا الجغرافيا الصعبة إلى سلاح فعال. حيث يرى "زوزو" أن بوعمامة استخدم المراسلات مع سلطان المغرب ورئيس الجمهورية ليس فقط لطلب الدعم بل لإبراز شرعية ثورته وعدالة قضيته، محولا الزاوية من مجرد مركز ديني إلى منبر سياسي وقاعدة خلفية للعمليات (زوزو، 2010، الصفحات 9–43) وبالانتقال إلى رصد الوثائق في الصفحات التالية، نجد أن المؤرخ "زوزو" قد اعتمد في كتابه على مجموعة قيمة من الرسائل والمراسلات التي تكشف لنا عن الروابط الوثيقة العميقة للثورة، سواء تعلق الأمر بالرسائل العسكرية المتبادلة مع القادة الفرنسيين أو مراسلات مع القبائل المختلفة.

ومن بين تلك الرسائل نجد:

رسالة بوعمامة إلى قبيلة الشعانبة أهم حلفائه، بتاريخ 28 جمادى الآخر 1298 هـ الموافق لسنة 1881م وقد تكون هذه أولى رسائل الشيخ بوعمامة (طهيري، 2023، صفحة 274)

رسالة من جماعة التوارق إلى بوعمامة (جويلية 1888): تجسد استراتيجية التمدد الجيوسياسي للمقاومة، حيث يكشف التحليل الباطني للوثيقة عن تلاحم عضو تجاوز الأطر القبلية الضيقة لصالح مشروع تحرري وطني شامل، والتنسيق لمواجهة الاستعمار. مما يبطل الروايات الاستعمارية حول عزلة الثورة، ويثبت بالدليل وجود قيادة وطنية موحدة استطاعت توظيف العمق الاستراتيجي للصحراء الكبرى كقاعدة خلفية ودبلوماسية، مما يؤكد أن ثورة بوعمامة كانت فعلا منظما يمتلك وعيا سياسيا ناضجا (زوزو – 2010 – ص 67–69).

مراسلات الشيخ بوعمامة مع أهل توات: حافظ الشيخ بوعمامة على علاقات قوية بمنطقة توات، خاصة بلدة دلدول، حيث عبر في رسائله عن وفائه وامتنانه لأهلها، مؤكدا أنه لم يغادرها إلا اضطرارا كما كشفت بعض الرسائل التي وجهها إليهم عن متابعته للأحداث السياسية في المغرب، وحرصه على الاطمئنان على أحوالهم والدعاء لهم (طهيري، 2023، ص274).

وفي الختام نلاحظ أن المؤرخ قد عزز دراسته برصيد وثائقي يشمل قائمة بيبليوغرافية غنية بالمصادر والمراجع بالإضافة لإحصائيات وخرائط – مما أعطى للبحث دقة علمية.

- استقى الدكتور "عبد الحميد زوزو" مادته العلمية من أرشيفات فرنسية متخصصة، حيث اعتمد على أرشيف ما وراء البحار (Archives d'Outre–Mer) لاستخراج المراسلات والتقارير الإدارية من الملف رقم (30H78) و(30H80)، كما استند إلى "أرشيف الحرب" (Archives de Guerre) بقلعة فينسين وتحديداً الملف (H376) للحصول على الأوامر العسكرية والتقارير العملياتية، بالإضافة إلى اعتماده على شهادات ميدانية معاصرة للأحداث نشرت في "جريدة الدائرة العسكرية" (Revue du Cercle Militaire) عام 1889م.

2) كتاب الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (1837 – 1939م):

– الدراسة الباطنية:

الجزء الأول.

استهل المؤرخ عبد الحميد زوزو كتابه بتقديم (بقلم شارل روبير اجرون) ركز على أبرز القيمة الأكاديمية والجهد الزمني المبذول في كتاب، حيث أشار اجرون إلى أن هذا العمل هو في الأصل أطروحة دكتوراه استغرقت خمسة عشر عاما من البحث والتدقيق. ووصف العمل بأنه إنجاز موسوعي غير مسبوق في الدراسات المعاصرة، كونه تناول منطقة الأوراس بدراسة شاملة غطت الجوانب السياسية والاجتماعية والنمو السكاني، معتمداً على مادة إعلامية غزيرة من الأرشيف الفرنسي. كما أكد التقديم على نجاح المؤلف في تقديم رؤية تاريخية متحررة من النزعة الاستعمارية ثم ينتقل إلى التمهيد استعرض المؤلف في تمهيده المبررات المنهجية والذاتية لاختيار موضوع الدراسة، موضحا أن اهتمامه بمنطقة الأوراس يعود إلى سنة (1975م) بهدف سد ثغرة أكاديمية باليد مدخل تناول فيه دراسة شاملة للإطار الجغرافي والبشري لمنطقة الأوراس، حيث وسع مفهومها من مجرد كتلة جبلية إلى مجال تاريخي وحضاري يشمل عدة مدن مثل باتنة وخنشلة وبسكرة. كما ربط بين طبيعة المنطقة الجبلية القاسية وبين خصائص سكانها، معتبرا أن هذه البيئة ساهمت في تكوين شخصية صلبة ومقاومة كما عرض مختلف الفرضيات حول أصل تسمية الأوراس مع اعتماد منهج نقدي قائم على المقارنة دون تبني رأي واحد بشكل نهائي.

الباب الأول: الوضعية في حدود سنة (1844م):

الفصل الأول: تناول فيه عبد الحميد زوزو كيف كانت قبائل أوراس، مثل النمامشة وأولاد الرشاش والعلاونة، تعتمد على نمط حياة رحلي موسمي يقضون الصيف في الجبال والشتاء في الواحات والمناطق الخصبة، لاستغلال الموارد الطبيعية مثل المزروعات والمراعي ومخازن الغلال. كما يوضح زوزو التفاعل بين العرب والبربر، حيث تبنت بعض القبائل العادات العربية من لغة وملبس ونمط عيش، بينما حافظت على أصولها البربرية ما أتاح وحدة اجتماعية قوية رغم التنوع العرقي. وبين كذلك دور الموارد الاقتصادية والموقع الجغرافي في تعزيز التعاون بين القبائل، كما في "واد بدجر" وقرى "بني طول" و"بني بوسليمان" وغيرهم حيث تساهم المزروعات والمراعي في توطيد الروابط الاقتصادية والاجتماعية بين القبائل. كما يشير إلى أن هذه القبائل، عبر تفاعلها مع بعض البعض، تجاوزت العصبية القبلية لصالح تنظيم سياسي واجتماعي شامل، يعكس التكامل بين العرب والبربر في أوراس (زوزو، 2011، الصفحات 61-74).

الفصل الثاني: يتناول "عبد الحميد زوزو" أن الوضعية الديموغرافية والاقتصادية في الأوراس لم تكن مجرد معطيات رقمية، بل كانت تعكس توازنا داخليا دقيقا بين الإنسان والمجال الطبيعي، حيث يكشف من خلال عرضه للمراكز الحضرية مثل بسكرة والقنطرة ومنعة

أن الحضر لم يكونوا منفصلين عن الريف بل مكملين كما يتضح من نقده للإحصائيات الاستعمارية أن المعرفة الاستعمارية (المعرفة التي أنتجها الاستعمار لتكن محايدة أو موضوعية) كانت مشوهة ومبنية على تقديرات غير دقيقة كما يبرز أن التدهور الديموغرافي لم يكن طبيعيا بل نتيجة مباشرة للعنف الاستعماري. أما في الجانب الاقتصادي فيظهر أن النشاط الفلاحي والرعوي والتجاري كان متكاملا ويحقق نوعا من الاكتفاء الذاتي خاصة من خلال نظام المقايضة والأسواق وهو ما يكشف عن استقلالية الاقتصاد المحلي قبل إدماجه القسري في الاقتصاد الاستعماري. (زوزو، 2011، الصفحات 75-86) كما يبرز تقسيم السكان إلى حضر، ومستقرين

ومختلطين ورحل أن المجتمع لم يكن مفككا بل منظما وفق توازنات وظيفية، مما يعكس بنية اجتماعية متماسكة، خلافا للصورة الاستعمارية التي تصور المجتمع كمتخلف وغير منظم، إلا أن هذا التوازن انهار بفعل التدخل الفرنسي هذا يؤكد أن الاستعمار لم يكن عاملا للتحديث بل سببا في تفكيك البنية الاقتصادية والاجتماعية. (زوزو، 2011، الصفحات 87-88)

الفصل الثالث: يبين عبد الحميد زوزو أن ما روجت له التقارير الاستعمارية حول غياب السلطة في الأوراس وهو تصور مضلل إذ يوضح أن المجتمع كان منظما ضمن نظام سياسي قائم على توازن بين السلطة العثمانية والعائلات المحلية. كما يكشف أن هذه السلطة لم تعتمد فقط على القوة العسكرية بل على الروابط الدينية والروحية التي منحتها الشرعية، وهو ما يعكس طبيعة الحكم في المجتمع الجزائري ومن جهة اخرى يبرز دور الزوايا كقوة دينية و اجتماعية ساهمت في ضبط المجتمع ونشر التعليم والوساطة بين القبائل، مما يدل على وجود تكامل بين السلطة السياسية والروحية. كما يوضح أن هذه الزوايا تحولت إلى قوة مقاومة ضد الاحتلال الفرنسي من خلال الدعوة إلى الجهاد (زوزو، 2011، الصفحات 91-104).

الباب الثاني: الاحتلال والمقاومة (1837-1979)

الفصل الرابع: تناول إبراز استمرارية ظاهرة المقاومة في منطقة الأوراس عبر مختلف الحقب التاريخية (من عهد يوغرطة والمقاومة ضد الرومان والفترة الإسلامية ثم الاستعمارية) ليؤكد أن المقاومة ليست ظرفية بل هي سمة متجذرة في الشخصية الجزائرية، كما يبرز دور الإسلام كعامل أساسي في توحيد سكان المنطقة، ومن جهة أخرى ينقد الاستعمار الفرنسي من خلال ابراز سياساته القائمة على التفريق بين القبائل واستغلال الانقسامات الداخلية، مقابل تأكيد تلاحم السكان حول فكرة المقاومة. (زوزو، 2011، الصفحات 107-128)وفي هذا السياق، تأتي الحملات العسكرية ضد جبال أوراس (1844-1848) التي تمتد حدود منطقة الجغرافية والتاريخية

وامتدادها بين عدة مدن ومناطق شرق الجزائر حتى الحدود التونسية، (تيتة، 2019، صفحة 162)

حيث تجاوز عدد القوات الفرنسية 5 آلاف جندي مجهزين بالمدفعية والأسلحة الحديثة، في مواجهة مقاومة سكان اوراس الذين استغلو التضاريس ومعرفتهم بالميدان لتعطيل تقدم الجيش. ولعبت الشخصيات المحلية مثل "أحمد باي" و"سي صغير بلحاج" دورا رمزيا وعسكريا وسياسيا في الحفاظ على استقلال القبائل ومقاومة النفوذ الفرنسي. (زوزو، 2011، الصفحات 129-140)

الفصل الخامس: تناول عبد الحميد زوزو "انتفاضة الزعاطشة التي انطلقت في جويلية 1849م" كرد فعل مباشر على سياسات الاحتلال الفرنسي، خاصة فرض الضرائب القصرية وقرار 12 نوفمبر الخاص بإلحاق بفرنسا. هذه الحركة كانت نتيجة تراكم الاحباط الشعبي من الاستغلال المادي والسيطرة السياسية. وشهدت الانتفاضة مقاومة عسكرية منسقة بين مختلف القبائل باستخدام استراتيجيات دفاعية وحرب العصابات، مما يعبر عن وعي استراتيجي مبكر وقدرة السكان على استغلال التضاريس الجبلية والواحات لصالح المقاومة، كما نجد استغلال القادة الدينيين مثل "بوزيان" و"سي صادق بلحاج" الدور الروحي للدين الإسلامي لتحفيز القبائل على الجهاد ضد الفرنسيين مما يعكس ارتباط المقاومة بالدين والقيم المحلية بحيث كان للمرابطين دور مزدوج (قيادة سياسية وعسكرية) مع الاحتفاظ بشرعية دينية قوية. في مواجهة هذه المقاومة، لجأت القوات الفرنسية إلى القوة المفرطة والتدمير الاقتصادي بما في ذلك حرق القرى وقطع النخيل واحتجاز الرهائن، إلا أن هذه الإجراءات لم تضعف الروح المقاومة بل عززت التضامن القبلي، ودفعت قبائل جديدة للانضمام إلى الانتفاضة. (زوزو، 2011، الصفحات 143-150)أما الانتفاضات اللاحقة مثل "سي صادق بلحاج" في سنة 1958، التي كانت من أسباب وظروف

الأوضاع التي عرفتها مناطق بعد اشتداد الاحتلال الفرنسي ووفاة المقاومة مثل الشيخ عبد الحفيظ الخنقي ومحمد الصغير بن الحاج إضافة إلى تدمير الزعاطشة وما خلفه من نهج طريقة رحمانية القائمة على الجهاد ورفض الاحتلال وسياسته القمعية (كحول، 2018، صفحة 48).

الفصل السادس: تناول أبرز الانتفاضات المسلحة في الأوراس، مع التركيز على انتفاضة (1871م) وانتفاضة (1979م). حيث تشكل انتفاضة (1871م) في الأوراس مثالا واضحا على استمرارية المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، فقد بدأت الانتفاضة كعصيان عام يعكس رفض الهيمنة الفرنسية، ثم تطورت إلى هجمات مسلحة مباشرة على المستوطنين ومزارعهم، مما يوضح قدرة القبائل على التنظيم والرد العنيف على قمع السلطة الاستعمارية. ومن خلال معارك (جبل مسطاوة)، يظهر بوضوح الإصرار على الدفاع عن الأرض والكرامة، حيث استخدم المقاومون التضاريس الجبلية والمهارات القتالية التقليدية لمواجهة القوة الفرنسية المتفوقة وهو ما أدى إلى خسائر كبيرة في صفوف المستعمرين. كما تشير الدراسة إلى المحاولات الجزائرية في ابتكار الشعبي، مثل "مدفع الشيطان" لمواجهة الاحتلال بكل الوسائل المتاحة حتى وإن كانت محدودة مما يجسد صمود المجتمع الجزائري وتمسكه بالهوية الوطنية رغم القمع والسيطرة الفرنسية وتشير إلى العلاقة الوثيقة بين المقاومة المسلحة والوعي الوطني والاجتماعي للأوراسيين في تلك المرحلة (زوزو، 2011، الصفحات 167-171).

وعلى عكس التوقعات، جاءت انتفاضة (1871) لتؤكد أن جذور المقاومة لم تمت بالرغم من القمع الذي أعقب انتفاضة (1871). فقد اندلعت شرارة التمرد بعد اغتيال الإمام "محمد بن عبد الرحمن" مما دفع القبائل للالتفاف حوله وإشعال انتفاضة شملت مناطق واسعة من الأوراس. كما يبرز زوزو كيف أن الفقر والمجاعة لعبا دورا مهما في تأجيج الغضب بينما استغل الإمام المهدي الروح الدينية لتحريك القبائل نحو الجهاد. (زوزو، 2011، الصفحات 171-181)

الباب الثالث: تنظيم أوراس

الفصل السابع: يبدأ "زوزو" بوضع إطار تاريخي لتقسيم البلاد إداريا منذ 1844م مع "دوق دومال Henri d'Orléans"، حيث كانت السلطة تعتمد على نخبة من الأهالي. في هذا السياق، يوضح "زوزو" أن هذا التقسيم كان جزءا من استراتيجيات الاستعمار الفرنسي، حيث تم استغلال الأعيان من الأهالي كأدوات في عملية السيطرة. لينتقل "زوزو" بعد ذلك إلى تناول تجربة التنظيمات الجديدة بعد انتفاضة الزعاطشة. هنا يحلل كيف أدى ذلك إلى تقليص نفوذ القادة التقليدين لصالح مكاتب الشؤون العربية، حيث أن هذا التحول الإداري لم يكن مجرد إصلاح، بل كان محاولة لفرض سيطرة مباشرة وإعادة ترتيب التحالفات القبلية. (زوزو، 2011، الصفحات 187-192)

كما خصص "زوزو" حيزا كبيرا لمصالح مكاتب الشؤون العربية يبرز فيه تعدد وظائفها بين الإدارة والقضاء والمراقبة العسكرية، حيث شكلت المكاتب جهازا مركزيا للهيمنة، إذ لم تقتصر مهامها على تسيير الشؤون اليومية، بل امتدت إلى مراقبة الحياة الاجتماعية والدينية وجمع المعلومات الدقيقة عن السكان، وضبط الضرائب والتدخل في النزاعات القبلية وبذلك تحولت إلى أداة شاملة لضبط المجتمع الجزائري، مما يعكس طبيعة الاستعمار الذي يسعى إلى السيطرة على مختلف جوانب الحياة وليس فقط المجال السياسي أو العسكري (زوزو، 2011، الصفحات 192-204)وفي امتداد لهذا التحول، يشير "زوزو" إلى تراجع تدريجي لنفوذ السلطة العسكرية لصالح الإدارة المدنية، خاصة ابتداء من الستينيات القرن التاسع عشر. غير أن هذا التحول لم يكن يعني تخفيف الطابع الاستعماري، بل يعكس تطورا في أساليب السيطرة، حيث انتقل الاستعمار من القمع المباشر إلى إدارة أكثر تنظيما وفعالية، تهدف إلى تثبيت الاستيطان وضمان استمراريته (زوزو، 2011، الصفحات 192-209)أما فيما يتعلق بأوضاع السكان في البلديات المختلطة فيبرز "زوزو" التفاوت القائم بين الأوروبيين والجزائريين داخل نفس الإطار الإداري. ورغم الطابع

الظاهري للمشاركة، فإن الواقع يعكس هيمنة واضحة للعنصر الأوروبي، مقابل تهميش السكان الأصليين سياسيا واقتصاديا (زوزو، 2011، الصفحات 210-214).

الفصل الثامن: تناول هذا الفصل التنظيم القضائي الذي فرضته الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر لم يكن مجرد إصلاح إداري يهدف إلى تنظيم شؤون العدالة، بل كان في جوهره أداة استعمارية موجهة لضرب البنية القانونية الإسلامية وإضعافها تدريجيا، حيث عملت فرنسا على إدخال منظومة قضائية غريبة عن المجتمع الجزائري، مستندة إلى قوانينها الخاصة، في محاولة لفرض هيمنتها الثقافية والقانونية. ويحلل زوزو هذا التحول من حيث باعتباره جزءا من استراتيجية استعمارية قائمة على "الاحتواء ثم الإقصاء" إذ أبقت الإدارة الفرنسية في البداية على القضاء الإسلامي شكليا من خلال ربطه بمكاتب الشؤون العربية، لكنها في الواقع جردته من استقلاليته عبر إخضاع القضاة المسلمين لتوجيهات الضباط الفرنسيين الذين كانوا يتدخلون في الأحكام ويوجهونها بما يخدم مصالحهم ويؤكد "زوزو" أن هذا الوضع أدى إلى فقدان الثقة في العدالة الرسمية، حيث أصبح القضاء مجرد متقاضين، الأمر الذي ساهم في انتشار مظاهر الفساد والرشوة كنتيجة مباشرة لاخدام النظام القضائي (زوزو، 2011، الصفحات 218-219).

كما يبرز أن المراسيم القانونية خاصة في (1854-1859) لم تستهدف القضاء الإسلامي للسلطة الفرنسية، وفتحت المجال لإدماجه تدريجيا ضمن المنظومة القضائية الفرنسية وهو ما أدى إلى تقليص صلاحياته وحصرها في قضايا محدودة. ومن خلال هذا يتبين أن القضاء الاستعماري لم يكن يسعى إلى تحقيق العدالة بقدر ما كان وسيلة للسيطرة السياسية والاجتماعية وهو ما يتجلى أيضا في الطابع القمعي للأحكام التي كانت تصدر أحيانا دون محاكمة عادلة وفي المقابل، يشير إلى أن تمسك الجزائريين بالقضاء العرفي يعكس شكلا من أشكال المقاومة

الصامتة حيث فضلوا اللجوء إلى أنظمة تقليدية أكثر انسجاما. (زوزو، 2011، الصفحات 219-227)

الباب الرابع: أدوات الاستغلال الاستعماري وتأثيراتها على وضعية الجزائريين

الفصل التاسع: بعنوان نظام جباية الضرائب حيث تجدها في مقال لحنان بوعزيز أنها ضريبة غزو مفروضة على السكان الأصليين فرضت على الرجال القادرين على حمل السلاح دون مراعاة الفوارق الاجتماعية بين الأغنياء والفقراء. كما اختلفت طرق تطبيقها من منطقة إلى أخرى (بوعزيز ح.، 2025، الصفحات 218-219)

الفصل العاشر: يسلط "زوزو" الضوء على أوضاع سكان منطقة أوراس خلال سنوات الأزمة الممتدة مابين أوائل القرن التاسع عشر حتى أواخر الستينات،حيث واجه السكان سلسلة من الكوارث الطبيعية والوبائية منها الزلازل، الجفاف، الجراد التي أسفرت عن خسائر بشرية ومادية جسيمة. ولم تسلم منها حتى الطبقة الثرية، بما في ذلك "أحمد باي" وأسرته. كما أبرز "زوزو" تأثير الحروب الفرنسية على التوازن الاقتصادي والاجتماعي، مع ارتفاع الضرائب وأزمات الفلاحة، مما دفع بعض القبائل إلى الهجرة هربا من الفاقة والسياسات الاستعمارية الظالمة إلا أن الهجرة توقفت في كثير من الأحيان من تلقاء نفسها وقد أثرت هذه الأزمات سلبا على الصحة العامة وانتشار الأمراض المزمنة والمعدية وأدت إلى نفوق الماشية وتدهور الإنتاج الزراعي، ما عرقلة الحياة الاقتصادية والاجتماعية كما يشير "زوزو" إلى موقف الإدارة الاستعمارية، التي اكتفت بإجراءات محدودة، مركزة على الجانب المالي وجباية الضرائب بينما استغل المستوطنون الأوروبيون الفلاحة والعمالة المحلية لمصالحهم، في حين حاول بعض الزعماء المحليين تقديم المساعدة للسكان. ورغم بعض التدابير الإغاثية، استمر الفقر والمجاعة والاضطرابات

الاجتماعية، مما أظهر هشاشة النظام التعاوني التقليدي السابق للاحتلال الفرنسي (زوزو، 2011، الصفحات 247-264).

الباب الخامس: اقتناء الأراضي لفائدة المستعمر

الفصل الحادي عشر: يبرز "زوزو" أن الاستعمار الفرنسي لم يقتصر على السيطرة العسكرية ، بل سياسة استعمارية منظمة هدفها السيطرة على الأرض والسكان معا، إذ اعتمد الاستعمار على إقامة مستوطنات أوروبية ومزارع صناعية والاستفادة من القيادة المحليين لتسهيل توسيع النفوذ الفرنسي. ويبين كذلك أن مصادرة الأراضي من القبائل وتوزيعها على المستوطنين خلق اختلالا هيكليا في السلطة ، وأجبر السكان المحليين على الهجرة أو العمل بنظام الخماسة، بينما استفاد القلة من امتيازات فردية. ويرى زوزو أن الاستيطان لم يكن عشوائيا، بل تم اختيار المواقع الاستراتيجية كمدن (باتنة، بسكرة) لإرساء السيطرة العسكرية والاقتصادية، مع تشجيع إنشاء المباني والخدمات الأساسية لجذب الأوروبيين وتحويل الأرض إلى ملكية فردية، وهي عملية تهدف إلى تهميش السكان الأصليين وتجريدهم من حقوقهم التاريخية، وهو ما يفسر لاحقا طبيعة المقاومة المحلية ووعي القبائل بمخاطر الاستيطان (زوزو، 2011، الصفحات 269-218).

الفصل الثاني عشر: تناول تطبيق القانون الإمبراطوري بتاريخ (22 أفريل 1863) والذي يعد من أهم التشريعات التي أقرها نابليون الثالث (Napoleon III) والذي ذدافع عن الجنرال ألارذ (Allard) (ايلال، 2017، الصفحات 2-3).

يرى "زوزو" في القانون مصادرة الأراضي لفائدة الاستيطان أنه لم يكن مجرد نص تنظيمي بل أداة استعمارية لتحويل الأراضي الجماعية للقبائل إلى ملكيات فردية تخضع للدولة الفرنسية والمستوطنين. يظهر أن هذا القانون لا يهدف إلى حماية السكان المحليين بل يهدف إلى تفكيك

النظام القبلي التقليدي وإضعاف سلطة الشيوخ والعشائر وجعل الفلاحين يعتمدون على المستوطنين كمستاجرين (زوزو، 2011، الصفحات 296-298).

يفسر زوزو فتح مركز عين توتة في خنشلة ومركز المعذر كان جزءا من سياسة الاستيطان الفرنسي والسيطرة العسكرية والادارية على المناطق الحساسة. لم تكن هذه المراكز مجرد مقرات إدارية، بل وسيلة لضبط القبائل المحلية وفرض قوانين الدولة الفرنسية على الأرض مع مراقبة حركة الفلاحين وتأمين الأراضي المصادرة (زوزو، 2011، الصفحات 298-308).

الفصل الثالث عشر: تناول "زوزو" أن قانون 27 أفريل 1887 كان استمرارا وتكملة للقوانين الإمبراطورية السابقة خاصة قانون 1863 وقانون 1873. لكنه جاء ليشمل الأراضي الجبلية والصحراوية التي لم يتم تطبيق القوانين السابقة عليها ليكشف أن هذا القانون لم يكن مجرد تنظيم إداري للملكية العقارية، بل أداة استعمارية لمصادرة أراضي القبائل، مما أدى إلى نزاعات واسعة بين القبائل والإدارة، وهو ما يعكس السياسية الاستعمارية التي تمزج بين القانون والضغط الإداري لضمان الاستيطان والسيطرة على الموارد الاقتصادية، خاصة المراعي والغابات والأراضي الرعوية (زوزو، 2011، الصفحات 311-322)وفي سياق محاولة الاستعمار لفرض السيطرة على الأراضي لم تقتصر السياسة الفرنسية على التشريعات القانونية، بل امتدت لتشمل مشاريع استعمارية كبرى، كان من أبرزها "استصلاح حوض أوراس المغلق". لم يكن يكن مجرد تحسين للزراعة بل أداة استعمارية لفرض السيطرة على الأراضي والمياه وإضعاف النفوذ القبلي المحلي.

الإدارة الفرنسية استغلت القوانين العقارية والمراسيم لتقييد حقوق القبائل التقليدية، مع التأكيد على المصالح الاقتصادية والسياسية للاستيطان يظهر هذا أن الاستعمار استعمل مشاريع الكبرى كوسيلة للقمع الاجتماعي والسيطرة الهيكلية على المجتمع بهدف تفكيك السلطة التقليدية للقبائل وضمان استمرارية الهيمنة الاستعمارية (زوزو، 2011، الصفحات 323-324) كما تناول

مشروع إنشاء شبكة السكك الحديدية بين قسنطينة وبسكرة مرورا بباتنة حيث يوضح "زوزو" أنه كان أداة استعمارية استراتيجية لتسهيل الاستيطان الأوروبي في (زوزو، 2011، الصفحات 325–330)لينتقل إلى سياسة مصادرة الأراضي التي يصفها "زوزو" تمثل امتدادا طبيعيا لمشروع السكك الحديدية، حيث لم تكن خطوط الحديد وحدها لتأمين الاستيطان بل كانت مصادرات ضرورية لإفراغ الأراضي الخصبة من أصحابها وتوفير مساحات مناسبة للمستوطنين مما يمثل استمرارا لسياسة الهيمنة الهيكلية (زوزو، 2011، الصفحات 331–336).

الباب السادس: الاحتلال المعنوي

الفصل الرابع عشر: يتناول "زوزو" تحليل الوضع التعليمي في باتنة وأوراس بين 1857م و1919م. مركزا على الدراسة الباطنية للسياسة الاستعمارية التي استخدمت التعليم أداة للسيطرة الثقافية. يبرز كيف أن المدارس (العربية–الفرنسية) لم تحقق النجاح إلا تدريجيا بسبب مقاومة الأهالي وحرصهم على ثقافتهم ودينهم. بينما حاولت الإدارة الاستعمارية فرض اهدافها عبر الإغراءات ,المكافات والتهديدات. كما يوضح زوزو أن نجاح التعليم لم يكن مجرد تعليم ارتباطا أساسيا ببناء النخبة المحلية، وأن المشروع التعليمي لم يكن مجرد تعليم بل جزء من استراتيجية شاملة للسيطرة المعنوية (زوزو، 2011، الصفحات 341–351).

الفصل الخامس عشر: يوضح "زوزو" كيف استغلت الاحتلال الفرنسي للزوايا كأدوات للسيطرة على المجتمع الأوراسي. يركز "زوزو" على أن الزوايا لم تكن مجرد أماكن للعبادة والتعليم، بل كانت تمثل قوة اجتماعية وسياسية، حيث يبرز دور شيوخها والمقدمين في توجيه التلاميذ والتحكم فيهم سواء للدفاع عن الدين أو لتأييد السلطة مما جعل الإدارة الاستعمارية تسعى لتفتيت النسيج الديني وإضعاف القدرة الوطنية من الداخل، من خلال إدخال عناصر الولاء للإدارة الفرنسية، وإثارة الشحناء بين الزوايا المختلفة، والتحكم في التعليم الديني لتقليص التأثير الوطني. كما يبرز

"زوزو" الموقف المعقد للزوايا، التي رغم الضغوط الاستعمارية حافظت على جزء من التراث الإسلامي والثقافي. مما يعكس الازدواجية في العلاقة بين السلطة الدينية والمستعمر، بين التكيف والمقاومة (زوزو، 2011، الصفحات 355-368).

الباب السابع: أهم التطورات والتحولات في أوراس من سنة (1914-1939م)

الفصل السادس عشر: يتناول منطقة الأوراس خلال الحقبة الاستعمارية، مع التركيز على محاولات العصرنة التي حاولت الإدارة الفرنسية تطبيقها منذ أواسط (القرن 19). أبرز "زوزو" أن هذه المحاولات كانت محدودة، حيث اقتصر على تأسيس شركات الادخار والقرض لتوفير الحبوب ومزارع نموذجية لتدريب الفلاحين على أساليب الزراعة العصرية، في حين بقي معظم الأهالي عاجزين عن الاستفادة الحقيقية بسبب ضعف الموارد، القيود الاستعمارية واحتكار الأراضي. وأشار "زوزو" إلى فلاحين الأوراسيين ظلوا يعتمدون على أساليب تقليدية في الفلاحة مثل المحراث، مما أدى إلى ضعف الإنتاج وزيادة البؤس خاصة في سنوات الجفاف والحروب

ويعود خلق هذه الفجوة بين المستوطنين والفلاحين المحليين إلى السياسات الاستعمارية (زوزو، 2011، الصفحات 373-384).

الفصل السابع عشر: يتناول كيف ظل المجتمع الجزائري الريفي محافظا على نمطه التقليدي في الفلاحة والرعي رغم وجود الاستعمار الفرنسي، وهو ما يعكس استمرار التقاليد والهوية الاقتصادية والثقافية للأهالي. من خلال وصفه للفئات الاجتماعية المختلفة، يبرز "زوزو" التباين الطبقي الناشئ بين المسلمين والمستوطنين، حيث ازدادت الفجوة الاقتصادية نتيجة توسع الملكيات الأوروبية وتراجع ممتلكات الأغنياء المحليين، في حين بقيت غالبية الأهالي في إطار الفقر، وهو ما يسلط الضوء على أثر الاستعمار على تكوين المجتمع الجزائري وتشتت الطبقات الاجتماعية (زوزو، 2011، الصفحات 387-392)كما تناول الوضعية الديموغرافية ومستوى المعيشة في

الأوراس – تأثر المجتمع الريفي الجزائري بالتحولات البيئية والصحية والاجتماعية في ظل الاستعمار الفرنسي، حيث تزايد عدد السكان نتيجة تحسن الأوضاع الصحية ومكافحة الأمراض وخصوصا أسهم في انخفاض الوفيات، كما لعبت العادات الاجتماعية المتعلقة بزيادة عدد الولادات دورها في نمو السكان غير أن هذا النمو لم يقابله تحسن ملموس في مستوى المعيشة، بل ظل أغلب السكان الريفيين يعتمدون على اقتصاد تقليدي محدود الإنتاج مما جعل الفقراء والفلاحين يعيشون حياة الكفاح ويواجهون أزمات مستمرة في التغذية والسكن والموارد الأساسية ورغم ذلك كان هناك صمود للأهالي بالرغم من كل هذه الضغوط مما يعكس تمسكا جماعيا بالحفاظ على الهوية المحلية ونمط الحياة التقليدي (زوزو، 2011، الصفحات 392–399).

الجزء الثاني:

الفصل الثامن عشر: تعكس انتفاضة (1916م) صراعا عنيفا بين إرادة الشعب في حماية أولاده وأراضيه وبين محاولات الإدارة الاستعمارية فرض التجنيد الإجباري وتسخير السكان مما حيث أبرز "زوزو" أن المقاومة الشعبية لم تكن مجرد رفض للقوانين بل تعبير عن وعي جماعي بمخاطر الاستعمار على الهوية الدينية والاجتماعية ويظهر ذلك في تجاوب سكان الأوراس للشيوخ والزوايا التقليدية مؤكدا قوتهم على اتخاذ القرار الجماعي المستقل. كما يبرز دور هذه الانتفاضة في صقل الوعي الوطني إذ لم تكن مجرد أحداث عنف بل حركة واعية واقعية عن القيم الثقافية والاجتماعية (زوزو، 2011، الصفحات 7–22).

كما يتناول مسألة إقامة الأوراسيين في فرنسا من منظور نقدي للظروف النفسية والاجتماعية التي رافقت هجرتهم مؤكدا أن أوراسيين، بسبب طبيعتهم المحافظة وربطهم بالأرض والغربة لم يتأثروا كثيرا بفرص التحرر والعمل في المصانع الفرنسية كما حدث مع سكان المناطق الساحلية حيث بقيت الهجرة لديهم محدودة وغير دائمة وغالبيتهم كانوا يهاجرون موسميا للمساهمة في

الأشغال الفلاحية. مما يبرز ذلك وعي جماعي للأوراسيين لحماية الهوية الثقافية والاجتماعية والدينية أمام تجربة الغربة. كما يشير "زوزو" إلى أن الهجرة، رغم أنها فتحت المجال للاحتكاك بالعمال الفرنسيين واكتساب بعض التكوين المهني إلا أن أثرها في تطوير الذهنية الوطنية كان محدودا مقارنة بالنشاط السياسي والاجتماعي المحلي مثل الانتخابات البلدية والجهوية منذ (1919م) (زوزو، 2011، الصفحات 23-35)

لينتقل إلى الحياة الثقافية والسياسية في الأوراس باعتبارها مجالا لتفاعل عميق بين الدين والسياسة في ظل الاستعمار، حيث لم يعد المسجد مجرد فضاء ديني بل تحول إلى مركز إشعاع فكري وسياسي، خاصة بعد بناء مسجد باتنة سنة 1924م، الذي احتضن النقاشات العامة وساهم في بروز نخبة جديدة تجمع بين الوعي الديني والانخراط السياسي. ومن خلال هذا الطرح، يبرز "زوزو" أن الحركة الإصلاحية المرتبطة بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين لعبت دورا حاسما في إعادة تشكيل الذهنيات، إذ جمعت بين الحفاظ على الهوية الإسلامية والانفتاح على متطلبات العصر، كما يبرز أن الصراع بين الاتجاه التقليدي والاصلاحيين وأنصار الادماج لم يكن مجرد تنافس سياسي بل كان يعكس تحولا تدريجيا في الوعي الجماعي نحو التحرر، خاصة مع بروز شخصيات مؤثرة واستغلال الفضاءات (كالمساجد) لتعبئة الجماهير ويؤكد "زوزو" كذلك أن تعدد الانتماءات السياسية للأوراسيين لم يكن تناقضا بقدر ماهو دليل على نضج سياسي مبكر، حيث أصبح الهدف المشترك هو مقاومة الاستعمار (زوزو، 2011، الصفحات 36-57).

- تعد المادة العلمية التي اعتمد عليها "زوزو" في مؤلفه "الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي" نموذجاً للدراسة التاريخية القائمة على التنوع المنهجي وتعدد المصادر.

فقد استند بشكل أساسي على مصادر متنوعة منها ما هو أرشيفي مثل أرشيف ما وراء البحار (A.O.M) وما حوته من ملفات قبلية كقبيلة أولاد ششار، كما اعتمد على أرشيف وزارة الحرب

الفرنسية "بفانسان" ضمن "السلسلة–H" والأرشيف الوطني بباريس والجزائر وتضمنت المصادر تقارير ومراسلات ضباط فرنسيين كلالمان (Lallemand[1]) و دافو[2] (Davaux)، وروايات شفهية مقتبسة من أعمال "ماسكري[3]" (Masqueray) وكلود موريس[4] (Maurice Claude).

كتاب مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشال دراسة باطنية

القسم الأول: تجلت حنكة الأمير عبد القادر في هذا القسم من المراسلات كإستراتيجية لبناء الدولة وفرض سيادتها حيث تناول الدكتور عبد الحميد زوزو هذه الوثائق بأسلوب يستنطق مقاصدها الباطنية فقد أشار زوزو إلى أن الأمير فرض في بدايات المراسلات لغة الندية السيادية مستخدما الختم والألقاب الشرعية لانتزاع اعتراف فرنسي بكيانه السياسي كحاكم شرعي وليس مجرد قائد ثورة (زوزو, عبد الحميد، 2013، الصفحات 5–45) كما تناول عبد الحميد زوزو باطنية المفاوضات حول معاهدة 1834 التي اكدها يعقوب حيمي في مقاله الأمير عبد القادر من خلال دراسة كتاب اقنيسان بولي ستيبانوفيتش بأن الأمير وظف في هذه المعاهدة كاستراحة محارب حيث مكنته من التفرغ لتنظيم شؤون الرعية (حيمي، 2025، صفحة 52) وأشار عبد الحميد زوزو أيضا إلى تحول الخطاب نحو التوثيق الأخلاقي والقانوني حيث حول الأمير مراسلاته إلى حجة تاريخية تدين غدر "دي ميشال" وتثبت أصالة الدولة الجزائرية.

القسم الثاني: انتقل عبد الحميد زوزو من تحليل لغة المراسلات إلى استنطاق الوثائق الرسمية التي شكلت الهيكل التنظيمي للدولة حيث تناول في البداية النصوص الكاملة للمعاهدات وأشار إلى أن هذه الاتفاقيات لم تكن مجرد صلح عسكري بل كانت اعتراف فرنسي صريح بوجود الدولة الجزائرية وسيادة الامير على إقليمها (زوزو, عبد الحميد، 2013، الصفحات 164–171) كما

[1] لالمان: جنرال قاد حملة عسكرية في الأوراس.
[2] دافو: كان مسؤولا عن تطبيق بعض المراسيم.
[3] ماسكري: كان مستكشف وعالم آثار فرنسي مهتم بتاريخ شمال افريقيا.
[4] كلود موريس: مؤرخ فرنسي ركز على دراسة منطقة الأوراس.

تناول مجموعة من المراسلات السياسية والتقارير وأشار من خلالها إلى تلاحم الجبهة الداخلية حيث حلل زوزو رسائل الأعيان المدن الموالية للأمير كدليل على التفاف الشعب حول سلطته الشرعية في مواجهة الدسائس الاستعمارية (زوزو, عبد الحميد، 2013، الصفحات 222-248)

وفي نهاية هذا القسم أشار زوزو إلى دور الوساطات المحلية والرسائل المتبادلة مع الشخصيات الفاعلة موضحا أن الأمير استطاع إدارة معركة العقول مع الطرف الفرنسي لإحباط مناورات دي ميشال وتلتحم هذه الدراسة بمرتكزات المدرسة التاريخية الجزائرية في تأكيدها على أصالة المؤسسات الوطنية إذ يركز زوزو أن هذه الوثائق بتركيبتها تثبت أن الجزائر كانت تمتلك جهازا إداريا وسياسيا متكاملا مما يسقط الادعاءات الكولونيالية ويرسخ الشخصية الدولية للجزائر (زوزو, عبد الحميد، 2013، صفحة 264).

ينتقل بعدها إلى:

القسم الثالث: حيث خصص هذا القسم لما يعرف بالقسم الفرنسي حيث تناول عبد الحميد زوزو مراسلات الجنرال دي ميشال الموجهة للأمير والتي تعكس باطنيا إستراتيجية الاحتواء والمناورة. فقد أشار زوزو من خلال الرسائل المتعلقة بتبادل الهدايا والسيوف . (زوزو, عبد الحميد، 2013، الصفحات 297-302)إلى محاولة فرنسا بناء جسر الثقة الوهمية لاستدراج الأمير بعيدا عن العمل العسكري كما تناول المراسلات التي تخص شروط السلم وتلبية طلبات السلاح (زوزو, عبد الحميد، 2013، الصفحات 283-288) حيث أشار لحالة الارتباك الفرنسي أمام قوة الأمير وهنا ما أكدته الدكتورة سامية أبو عمران في مقالها الأمير عبد القادر الجزائري رمز المقاومة الجزائرية إلى أن سرعة تنقل الأمير بين المدن والقلاع أدت إلى ارتباك خطة العدو الذي فشل في اعتقاله طوال 17 عاما (عمران، 2005، صفحة 77).

وفي الجزء المتعلق بالتقارير حول القبائل المتمردة أشار زوزو إلى أن الرسائل الفرنسية كانت تهدف باطنيا لإثارة الفتنة وشق صفوف القبائل الجزائرية (زوزو, عبد الحميد، 2013، صفحة 289) وتلتحم هذه الدراسة بمرتكزات المدرسة التاريخية الجزائرية في سعيها لكشف خبايا النوايا الاستعمارية إذ يرى زوزو أن هذه الوثائق الفرنسية بحد ذاتها تعد إدانة تاريخية لفرنسا أما بالنسبة ل:

القسم الرابع: انتقل فيه عبد الحميد زوزو من رصد الممارسة الدبلوماسية للدولة إلى تحليل البنية العميقة للمقاومة الشعبية حيث تناول في دراسته لثورة الأوراس (زوزو, عبد الحميد، 2013، الصفحات 340–412) العوامل السوسيولوجية التي جعلت من الجبل حصنا سياسيا وليس عسكريا فقط وأشار إلى أن المقاومة كانت فعل وعي يرفض القوانين الاستعمارية مثل قانون الأهالي وسعى لاسترداد السيادة المفقودة كما تكشف في تحليل ثورة الشيخ بوعمامة (زوزو, عبد الحميد، 2013، صفحة 648) وأشار من خلال مراسلات الشيخ مع القادة الفرنسيين إلى أن بوعمامة كان يعيد إحياء نموذج الأمير عبد القادر في التربية السياسية وفي السياق نفسه أكد الأستاذ عبد القادر خليفي في مقاله "صور الشيخ بوعمامة في الماثور الشعبي " بأن مراسلات بوعمامة كانت تهدف إلى تأليف القلوب وليس التهديد بالقتل (خليفي، 2005، صفحة 371) أو وفي ختام هذا القسم أشار زوزو من خلال ملاحق تقارير لجان التحقيق (زوزو, عبد الحميد، 2013، الصفحات 443–445) إلى أن اعترافات الضباط الفرنسيين أنفسهم كانت تثبت زيف الادعاءات التي وصفت الثوار بـ "العصاة" مؤكدا أن هذه الوثائق هي في الحقيقة شهادات دامغة على وحدة الشخصية الوطنية الجزائرية وتلتحم هذه الدراسة بمرتكزات المدرسة التاريخية الجزائرية في سعيها لإثبات شمولية المقاومة إذ يرى زوزو أن الربط بين مختلف الثورات يثبت وجود عقل سياسي وطني مستمر نجح في الحفاظ على جوهر الدولة الجزائرية.

وأخيرا،

القسم الخامس: خصص هذا القسم الختامي لتعزيز الرواية التاريخية بالأدلة المادية والجغرافية حيث تناول عبد الحميد زوزو مجموعة من الخرائط واللوحات والملاحق الوثائقية، فقد أشار من خلال خرائط الأوراس ومسيرة الشيخ بوعمامة (زوزو, عبد الحميد، 2013، الصفحات 347–383) إلى أن المقاومة لم تكن مجرد أحداث عشوائية بل كانت تمتلك وعيا جغرافيا ودقة في تحركات الجند والقادة وهو ما يثبت وجود هيئة أركان وتخطيط عسكري متطور كما لخص زوزو في تحليل سلسلة النسب ومراسلات الشيخ بوعمامة بخط يده (زوزو, عبد الحميد، 2013، الصفحات 521–543) وأشار إلى أن التمسك بالهوية العربية والإسلامية والروابط القبلية كان هو المحرك العقائدي الذي ضمن استمرارية الثورة وتماسك الجبهة الداخلية.

وفي ختام الملاحق أشار زوزو من خلال فهرس اللوحات التي يوثق للمعارك والقيادات (زوزو, عبد الحميد، 2013، الصفحات 349–405) إلى أن التاريخ الجزائري ليس مجرد نصوص مكتوبة بل هو حقيقة متجذرة في الأرض والإنسان وبذلك تلتحم هذه الدراسة بمرتكزات المدرسة التاريخية في سعيها لفرض السيادة المعرفية إذ يرى زوزو أن هذه الأدلة المادية هي الحصن الذي يحمي التاريخ الوطني من التزييف مؤكدا أن المقاومة الجزائرية كانت مشروعا حضاريا متكاملا.

لا يكتمل الفهم العميق لدراسة هذه المراسلات دون العودة إلى الينابيع الأولى التي استقى منها المؤرخ مادته العلمية فباخضاع في كتاب مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال ديميشال "دراسة باطنية" تجد أن الدكتور عبد الحميد زوزو لم يكتف بنقل النصوص بل قام بتفكيك الخطاب الدبلوماسي للأمير. وبالبحث في الأصول الوثائقية لهذا العمل نجد أن الباحث استند إلى المسودات الأصلية للمراسلات المحفوظة في "أرشيف وزارة الحرب الفرنسية بـ فانسان Vincennes" وتحديدا

السلسلة التاريخية الخاصة ببدايات الاحتلال كما اعتمد على النسخ العربية الأصلية والترجمات الفرنسية الرسمية التي كانت تقع في مكاتب الأركان العامة.

ج- قضايا الهجرة والنفي السياسية:

1- كتاب الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين (1914 - 1939م)

دراسة باطنية:

تحدث عبد الحميد زوزو في الفصل الأول حول تطور الهجرة الجزائرية نحو فرنسا عبر مراحل تاريخية حيث ذكر أن هذه الظاهرة لا يمكن فهمها بمعزل عن السياق الاستعماري العام خاصة التحولات الاقتصادية والسياسية التي فرضها الاحتلال الفرنسي وهذا يبرز بمقاربة تفسيرية تعتبر التاريخ شبكة من العلاقات وليس مجرد تسلسل للأحداث (زوزو، 2010، صفحة 11) وفي مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى ذكر أن بداية الهجرة كانت مرتبطة أساسا بتدهور الأوضاع المعيشية في الارياف نتيجة السياسات الاستعمارية التي أضعفت الاقتصاد المحلي ونفهم من هذا الطرح أن الهجرة ليست اختيارا فرديا فقط بل نتيجة ضغط بنيوي فرضه الواقع الاستعماري (زوزو، 2010، صفحة 12) ثم أشار في مرحلة الحرب العالمية الأولى إلى ان فرنسا استغلت الوضع الحربي لاستقطاب العمال الجزائريين حيث ذكر أن فرنسا استغلت الوضع الحربي لاستقطاب العمال الجزائريين حيث ذكر أن الحاجة إلى اليد العاملة حولت الجزائريين إلى قوة عمل في خدمة الاقتصاد الفرنسي وهذا يعكس بوضوح العلاقة غير المتكافئة التي تبرزها المدرسة التاريخية الجزائرية عند تحليلها للاستعمار (زوزو، 2010، صفحة 14) وواصل في مرحلة ما بين الحربين حيث ذكر أن توسع الهجرة كان نتيجة تراكم الأزمات الاقتصادية العالمية مع بقاء المهاجر الجزائري في حالة ارتباط دائم بوطنه مما يدل على أن الهجرة لم تكن اندماجا اجتماعيا بل حركة اضطرارية مؤقتة وهذا التحليل يعكس فهما عميقا لمفهوم المهاجر

غير المستقر داخل السياق الاستعماري (زوزو، 2010، صفحة 16)كما أشار إلى المناطق المصدرة للمهاجرين حيث ذكر أن التفاوت الاقتصادي بين المناطق الجزائرية هو الذي حدد خريطة الهجرة، وهو ما يعني أن الاستعمار لم يكن تأثيره موحدا بل خلق اختلافات مجالية واضحة (زوزو، 2010، صفحة 24) وفي المقابل تحدث عن المناطق المستقبلة للمهاجرين حيث ذكر أن المدن الصناعية الفرنسية كانت الوجهة الأساسية بسبب الطلب على العمالة مما يجعل الهجرة مرتبطة بشكل مباشر بمنطق الاقتصاد الرأسمالي القائم على الاستغلال (زوزو، 2010، صفحة 28)

ثم ذكر في خصائص الهجرة الجزائرية أن هذه الظاهرة اتسمت بالطابع المؤقت والموسمي حيث أشار إلى أن المهاجرين لم ينقطعوا عن بلدهم الأصلي بل ظلوا مرتبطين به اجتماعيا ونفسيا مما يبين أن الهجرة كانت "هجرة عمل" (زوزو، 2010، صفحة 31) كما تحدث عن الدوافع الاقتصادية حيث ذكر أن الفقر والبطالة كانا نتيجة مباشرة لسياسات الاستعمارية وليس مجرد ظروف طبيعية مما يعطي تفسيرا بنيويا للهجرة يدل على التفسير القوي البسيط (زوزو، 2010، صفحة 35).

أين تطرق إلى الدوافع العسكرية والنفسية للهجرة الجزائرية نحو فرنسا حيث تقاطع معه هذا المقال للباحثة سامية بن فاطمة في أن الهجرة الجزائرية نحو فرنسا هي مجرد سعي وراء تحسين الظروف المعيشية، والتي كانت نتاجا لتظافر ضغوط عسكرية ونفسية عميقة فرضها الواقع الاستعماري فمن الناحية العسكرية شكل قانون التجنيد الإجباري لسنة 1912 والاحتياجات البشرية لفرنسا خلال الحربين العالميتين محركا قسريا حيث تم تحويل آلاف الجزائريين إلى وقود بشري في جبهات القتال أو اليد العاملة في مصانع الحرب في وزارة الدفاع هذا الضغط العسكر ي أنتج بدوره واقعا نفسيا مأزوما حيث تحول فعل الهجرة إلى آلية دفاعية وصرخة رفض ضد الاحساس

بالغربة داخل الوطن إذ وجد الجزائري في الرحيل وسيلة لاستعادة كرامته والهروب من سيكولوجية القهر التي حاول المستعمر تكريسها ليصبح بذلك قرار الهجرة في جوهره شكلا من أشكال المقاومة النفسية (فاطمة، 2017، صفحة 135)وفيما يخص الدوافع التعليمية يذكر عبد الحميد زوزو، أنها كانت محدودة مقارنة بالدوافع الأخرى وتمثلت في فئة قليلة من الجزائريين والذين توجهوا إلى فرنسا من أجل الدراسة أو التكوين المهني والثقافي يفهم من خلال هذا الطرح أن زوزو يفسر هذه الظاهرة في إطار السياق الاستعماري العام وهو ما يتماشى مع المدرسة التاريخية الجزائرية التي تركز على المحركات الاجتماعية والاقتصادية وربطها بالسياسات الاستعمارية الفرنسية (زوزو، 2010، صفحة 47).

مع تطور الهجرة بدأ يظهر وعي وتنظيم لدى المهاجرين حيث يقود عبد الحميد زوزو إلى دراسة تطورهم السياسي والأيديولوجي.

والفصل الثاني: تحدث عبد الحميد زوزو عن نشأة تنظيم النجم باعتباره أول تعبير منظم ووعي سياسي لدى المهاجرين الجزائريين في فرنسا.

حيث أشار إلى أن هذا التأسيس لم يكن مجرد عمل عفوي بل جاء نتيجة لظروف الانكسار والهجرة وما أفرزته من شعور بالاغتراب والحاجة إلى التنظيم الجماعي، وواصل حتى توضح أن هذه المرحلة مثلت انتقالا من النظام الفردي إلى العمل السياسي المنظم الذي بدأ يفرض نفسه داخل دراسة الجالية (زوزو, عبد الحميد، 2013، الصفحات 53-55).

كما بين أن مرحلة (1923 - 1933م) عرفت محاولة التخلص التدريجي من التبعية للتيارات الفرنسية والبحث عن الاستقلالية في القرار السياسي، وهذا ما أبرزه محفوظ قداش[1] ومحمد

[1] محفوظ قداش: أحد أعمدة المؤرخين الجزائريين وهو من الجيل الذي أسس لاستعادة التاريخية الوطنية بعد الاستقلال، هو مؤرخ وباحث جزائري وأستاذ التاريخ بجامعة الجزائر، ولد سنة 1921 توفي سنة 2006.

قنانش[1] في كتابهما "نجم شمال إفريقيا 1926-1933"، حيث يأت مؤتمر باريس المنعقد في 28 ماي 1933 ليشكل منعرجا حاسما في المسار النضالي لنجم شمال إفريقيا حيث انتقل الحزب من حيز المطالب النقابية والاجتماعية المحدودة إلى تبني مشروع وطني متكامل وواضح المعالم ففي برنامج العمل والمطالب المستعجلة تلمس نضجا سياسيا تجلى في الجرأة على المطالبة الصريحة بالاستقلال التام وجلاء القوات الاستعمارية مدعومة بتصور لبناء دولة جزائرية حديثة تقوم على مؤسسات سيادية كجيش وطني ومؤسسة تأسيسية منتخبة بالاقتراح العام (قنانش، 2013، صفحة 82).

وفي المرحلة الممتدة بين (1933 – 1937م) أشار عبد الحميد زوزو إلى تطور مهم في أسلوب العمل السياسي يتمثل في تعزيز التنظيمات وتوسيع النشاط النقابي والسياسي مع بروز قيادة أكثر وضوحا ونضجا في التسيير حيث اعتبر أن هذه المرحلة جاءت نتيجة تراكم التجارب السابقة داخل المهجر (زوزو، 2010، الصفحات 63-67).

أما سنة 1939 فقد اعتبرها عبد الحميد زوزو مرحلة نضج سياسي وفكري، ففي هذا بدأ المهاجرون يعيدون النظر في علاقاتهم بالوطن الأم وأصبح الوعي بالقضية الجزائرية أكثر شمولية.

والربط بين الداخل والخارج بدل الاقتصار على قضايا المهجر (زوزو، 2010، الصفحات 67-70). وفي الأخير تناول التطور الأيديولوجي الذي عرفته الحركة موضحا أن المطالب انتقلت تدريجيا من مطالب اجتماعية بسيطة إلى خطاب وطني وسياسي أكثر وضوحا وارتباطا بفكرة التحرر (زوزو، 2010، الصفحات 70-71) ويرتبط هذا التحليل بالمدرسة التاريخية

[1] محمد قنانش: مؤرخ ومناضل جزائري، ولد سنة 1913، اشتغل كثيرا على تاريخ مسار الحركة الوطنية الجزائرية، تميزت مؤلفاته بتقديم تفاصيل دقيقة حول نشاط الأحزاب والمنظمات السياسية، من أهم أعماله "الحركة الوطنية الجزائرية محطات ومواقف"، توفي سنة 1995م.

الجزائرية التي ترى أن تطور الحركة الوطنية كان نتيجة تفاعل الظروف الاستعمارية مع التحولات الاجتماعية والسياسية سواء في الداخل أو في المهجر.

الفصل الثالث: تحدث عبد الحميد زوزو في نهاية الفصل السابق عن التطور الأيديولوجي للحركة، حيث أشار إلى أن هذا التحول لم يكن معزولا بل مهد مباشرة للانتقال الى مرحلة اكثر تنظيما وهي مرحلة بناء الجهاز الإداري واضح المعالم وواصل في هذا الفصل توضيح كيفية تشكيل هذا الجهاز مبينا أن الحركة لم تعد مجرد أفكار أو توجهات سياسية بل أصبحت تعتمد على هياكل تنظيمية دقيقة تضمن استمراريتها وفعاليتها (زوزو، 2010، صفحة 77).

فأشار إلى المؤتمر السنوي العام وباعتباره أعلى هيئة تنظيمية حيث يتم فيه مناقشة التوجهات الكبرى واتخاذ القرارات المصيرية، وهو ما يعكس صياغة درجة من النضج السياسي والتنظيمي لدى المهاجرين (زوزو، 2010، صفحة 79).

كما بين أن اللجنة المركزية كانت تمثل العمود الفقري للتنظيم إذ تتولى متابعة تنفيذ القرارات وتنسيق العمل بين مختلف المستويات، وهو ما يؤكد على وجود تسلسل إداري واضح داخل الحركة (زوزو، 2010، صفحة 80).

وواصل في حديثه عن المكتب الإداري الذي يشرف على السير اليومي موضحا أن الجهاز يسعى إلى انتقال من النضال العفوي إلى العمل المؤسسي المنظم (زوزو، 2010، صفحة 81).

كما تناول القسمات مبينا دورها في تأطير المناضلين على المستوى المحلي وربط القاعدة بالقيادة، وهو ما يدل على انتشار التنظيم داخل أوساط المهاجرين (زوزو، 2010، صفحة 87).

ثم أشار إلى جانب آخر مهم وهو ما سماه بالعصرية حيث أوضح أن الحركة بدأت تعتمد أساليب حديثة في التنظيم والتسيير متأثرة بالتجارب السياسية المعاصرة، وهو ما يعكس انفتاحها على محيطها وتطوير أدواتها النضالية (زوزو، 2010، صفحة 88).

ولم يغفل زوزو عن الجانب المالي إذ تحدث عن مصادر الدخل مبينا أنها كانت تعتمد أساسا على اشتراكات المناضلين وبعض الموارد الذاتية (زوزو، 2010، صفحة 99).

وفي الأخير تناول وسائل العمل موضحا أن الحركة اعتمدت على مجموعة من الآليات التنظيمية والإعلامية لنشر أفكارها وتوسيع قاعدتها (زوزو، 2010، صفحة 99).

ويرتبط هذا التحليل بالمدرسة التاريخية الجزائرية التي ترى أن تطور الحركة الوطنية لم يكن مجرد تطور فكري، بل شمل أيضا بناء مؤسسات وتنظيمات تعكس نضج الوعي السياسي، حيث يفهم هذا الجهاز الإداري كنتاج طبيعي لتراكم التجارب النضالية للمهاجرين وتفاعلهم مع واقع الاستعمار سواء في الداخل أو في المهجر.

الفصل الرابع:

تحدث عبد الحميد زوزو في هذا الفصل عن شبكة العلاقات التي نسجها النجم ثم حزب الشعب مع مختلف التنظيمات، مبرزا أن هذه العلاقات لم تكن عفوية بل جاءت في إطار بحث الحركة عن دعم سياسي واجتماعي يعزز موقعها داخل الساحة النضالية (زوزو، 2010، صفحة 115).

وواصل توضيح أن علاقة النجم باتحاد اللجان العاطلة عن العمل تعكس ارتباطه بالطبقة العاملة وظروفها الاجتماعية، حيث سعى إلى توظيف النضال الاجتماعي لخدمة القضية الوطنية، وهو ما يدل على رؤية مبكرة لضرورة ترابط السياسي والاجتماعي (زوزو، 2010، صفحة 116).

كما أشار إلى النشاط الثقافي للعمال الجزائريين، مبينا أنه كان وسيلة للحفاظ على الهوية الوطنية ونشر الوعي بين المهاجرين، وهو ما يبرز دور الثقافة كأداة نضالية موازية للعمل السياسي (زوزو، 2010، صفحة 117). وواصل حديثه عن علاقة النجم بالاسعاف الاحمر العالمي، والجامعة الفرنسية ضد الإمبريالية والاضطهاد، موضحا أن هذه العلاقات تبرز انفتاح الحركة على التنظيمات الدولية ذات التوجه المناهض للاستعمار (زوزو، 2010، صفحة 119).

ثم تناول علاقة النجم بالحزب الشيوعي الفرنسي حيث أوضح أنها اتسمت في البداية بالتقارب، يرجع إلى اشتراك في بعض القضايا خاصة الدفاع عن العمل ومناهضة الاستعمار، لكنه أشار إلى وجود حدود لهذا التقارب نتيجة اختلاف الاهداف (زوزو، 2010، صفحة 122).

كما بين علاقته بالجبهة الشعبية مبرزا أن هذه المرحلة شهدت نوعا من الأمل في تحقيق إصلاحات، غير أن هذه التجربة أظهرت محدودية هذا الخيار بالنسبة للحركة الوطنية (زوزو، 2010، صفحة 128).

وانتقل بعد ذلك إلى علاقة النجم بجمعية العلماء وكتلة النواب الجزائريين موضحا أن هذه العلاقة تعكس محاولة التنسيق بين مختلف التيارات الوطنية رغم اختلاف توجهها، وهو ما يدل على بداية تشكل وعي جماعي بالقضية الوطنية (زوزو، 2010، صفحة 132).

كما تطرق إلى علاقة النجم وحزب الشعب بالحركات الوطنية العاملة بفرنسا حيث أشار إلى أن المهجر أصبح فضاء مهما لتلاقي مختلف الحركات وتبادل الخبرات مما ساهم في تطوير أساليب النضال (زوزو، 2010، صفحة 148).

وواصل زوزو إبراز علاقات النجم مع جمعيات الطلبة وتنظيمات الدفاع عن مسلمي شمال إفريقيا معتبرا أن هذه الفئات لعبت دورا مهما في نشر الوعي السياسي وتوسيع القاعدة النضالية خاصة في الأوساط المثقفة (زوزو، 2010، صفحة 153).

وفي الأخير تناول موقف النجم وحزب الشعب من الفاشية والنازية حيث أوضح أنهما اتخذا موقفا رافضا لهذه التيارات (زوزو، 2010، صفحة 161)

ويرتبط هذا التحليل بالمدرسة التاريخية الجزائرية التي تؤكد أن الحركة الوطنية لم تتطور في عزلة، بل من خلال تفاعلها مع محيطها السياسي والاجتماعي سواء داخل الجزائر أو في المهجر حيث تفهم هذه العلاقات كجزء من مسار تراكمي ساهم في بلورة الوعي الوطني.

الفصل الخامس:

تناول عبد الحميد زوزو في هذا الفصل رد فعل السلطات على الدور الوطني للمهاجرين حيث تحدث عن منهجية هذا الرد وواصل تحليل آلياته القمعية.

ففي البداية تحدث عن العراقيل الإدارية مبينا كيف اعتمدت السلطات على وسائل بيروقراطية لتعطيل نشاط المهاجرين مثل مراقبة الاجتماعات وفرض التراخيص وفهم من طرحه ان الادارة الاستعمارية ، كانت ترى الوعي السياسي للمهاجرين خطرا على استقرارها (زوزو، 2010، صفحة 164).

ثم واصل الحديث عن العراقيل القضائية حيث أشار إلى لجوء السلطات إلى المحاكم لمتابعة النشطاء من خلال تلفيق التهم أو تطبيق قوانين قمعية (زوزو، 2010، صفحة 168).

بعد ذلك تطرق إلى المصاعب الأخرى والتي تمثلت في أشكال التضييق غير المباشر مثل الضغوط الاجتماعية والتمييز ومحاولات تفكيك التنظيمات الوطنية من الداخل (زوزو، 2010، صفحة 173)

وفي مرحلة لاحقة تحدث عن الخطة التي اعتمدها النجم وحزب الشعب لاجتياز هذه العراقيل، وهو ما أوضحه المقال الباحثة حورية ومان ويوسفي تلمساني بان المناظلون اعتمدوا استراتيجية

المرونة التنظيمية من خلال تغيير مسميات الحزب كما استند التنظيم إلى العمل السري عبر نظام الخلايا[1] (تلمساني، 2017، صفحة 18)

يندرج هذا الفصل ضمن توجهات المدرسة التاريخية الجزائرية التي تركز على إبراز طبيعة الصراع بين الحركة الوطنية والاستعمار من خلال تحليل أدوات القمع وآليات المقاومة، فزوزو مثل باقي رواد هذه المدرسة لا يكتفي بسرد الأحداث بل يسعى إلى تفسيرها في إطار وطني يبرز وعي الجزائريين وتنظيمهم.

لينتهي الفصل بخاتمة التي لخص فيها النتائج العامة مؤكدا رد فعل السلطات رغم شدته لم ينجح في القضاء على النشاط الوطني للمهاجرين، بل ساهم في زيادة وعيهم وتماسكهم (زوزو، 2010، صفحة 181)

كما أضاف ملاحق التي تقدم الدراسة بوثائق وشهادات تاريخية تعزز مصداقية التحليل.

من خلال الفحص الدقيق والتحليل الباطني لمحتوى كتاب "الدور السياسي للهجرة الى فرنسا (1914 – 1939)" ننتقل من مضمون هذه الدراسات التي تقصي أصولها الوثائقية نجد أن عبد الحميد زوزو اعتمد بشكل جوهري على تقارير المخابرات الفرنسية والشرطة السياسية التي كانت تراقب نشاط الجزائريين في المهجر المحفوظة في أرشيف عمالة باريس وأرشيف وزارة المستعمرات، كما استنطق الباحث مصادر أولية في غاية الأهمية وهو جريدة الأمة لسان حال نجم شمال إفريقيا ومحاضر اجتماعات الحركة الوطنية في فرنسا.

[1] نظام الخلايا: هو القاعدة الأساسية التي بني عليها التنظيم السري لنجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب.

بعد أن إستوفينا دراسة المادة العلمية لدى عبد الحميد زوزو ففتح لنا نافذة للمقاومة مع مراجع أخرى تَقاسَمت معه نفس التميّز الموضوعاتي لكتابة « الدور السياسي للهجرة الجزائرية بفرنسا بين الحربين 1914-1939م» حيث نجد كتاب «نجم شمال إفريقيا 1926-1937م» للمؤرخ محفوظ قداش؛ إين اعتمد في دراسته هذه على جملة من المصادر مثل الأرشيف الإداري، والأمني الفرنسي وأدبيات الحزب بالصحافة الوطنية الذي يتضمن نصوصاً ومقالات من صحف النجم مثل الإقدام والأمة إضافة إلى الشهادات الحية والوثائق القانونية والسياسية فمن خلال هذه المصادر تناول محفوظ قداش تأسيس نجم شمال إفريقيا في باريس عام (1926) موضحاً أن النواة الأولى كانت من العمال المهاجرين الجزائريين الذين تأثروا بالأفكار التحررية في أوروبا أين يتَعرض تاريخ الصحف التي أصدرها النجم مثل الإقدام والأمة و ماضي هذا الكتاب هو الشهادات الميدانية لمناضلين عاصروا الأحداث مثل محمد قنانش نفسه[1]، يتوافق هذا الطرح مع عبد الحميد زوزو في كتابه «الدور السياسي للهجرة الجزائرية بفرنسا بين الحربين 1914-1939» مؤكداً أن الهجرة الجزائرية إلى فرنسا هي المختبرا الذي ولدت فيه الحركة الوطنية؛ إضافة إلى أن الكتابات تصفان نجم شمال إفريقيا كأول تنظيم سياسي نادى بالإستقلال. أما من حيث المصادر فزوزو هنا اعتمد بشكل مكثف على الأرشيف الفرنسي الرسمي بينما كتاب قداش ومحمد قنانش تميز بدمج صوت المناضل من الداخل عبر الشهادات المروية لمناضلي النجم.

تستخلص من دراستنا للشخصية الدكتور عبد الحميد زوزو ومنجزه التاريخي في هذا الفصل أننا أمام مؤرخ يمتلك رؤية شمولية تجمع بين دقة التوثيق التي ظهرت في دراستنا الظاهرية لمؤلفاته وعمق التحليل الذي تجلى في معالجته للقضايا والوقائع.

[1] محفوظ قداش، محمد قنانش: نجم شمال إفريقيا(1926-1937) وثائق وشهادات لدراسة التيار الوطني الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 2013م، ص 74.

لقد أثبتت الدراسة أن زوزو لم يكن مجرد مؤرخ يسرد الوقائع بل صاحب مشروع فكري يهدف إلى استعادة الذاكرة الوطنية الجزائرية وتنقيتها من الشوائب الكولونيالية معتمدا في ذلك في ذلك على منهجية صارمة تعطي للتوثيق والوثيقة مكانة مركزية.

بناء على هذا الإطار النظري والمنهجي الذي رسمناه في هذا الفصل سننتقل في الفصل الثالث إلى الجانب التطبيقي من خلال اتخاذ كتاب "ثورة الأوراس 1879" والذي اخترناه كنموذج للدراسة لنرى كيف تجسدت تلك المبادئ المنهجية والرؤية التاريخية التي ناقشناها في متن مؤلفاته بشكل علمي وتفصيلي.

الفصل الثالث:

ثورة الاواراس 1879 كدلالة لاهتمام عبد الحميد زوزو بالتاريخ المحلي.

المبحث الأول: الواسة الظاهرية لكتاب ثورة الاوراس 1879.

المبحث الثاني: الواسة الباطنية لكتاب ثورة الاوراس 1879.

1/ ملخص محتوى الكتاب.

2/ المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الكتاب.

3/ منهجه وأسلوبه.

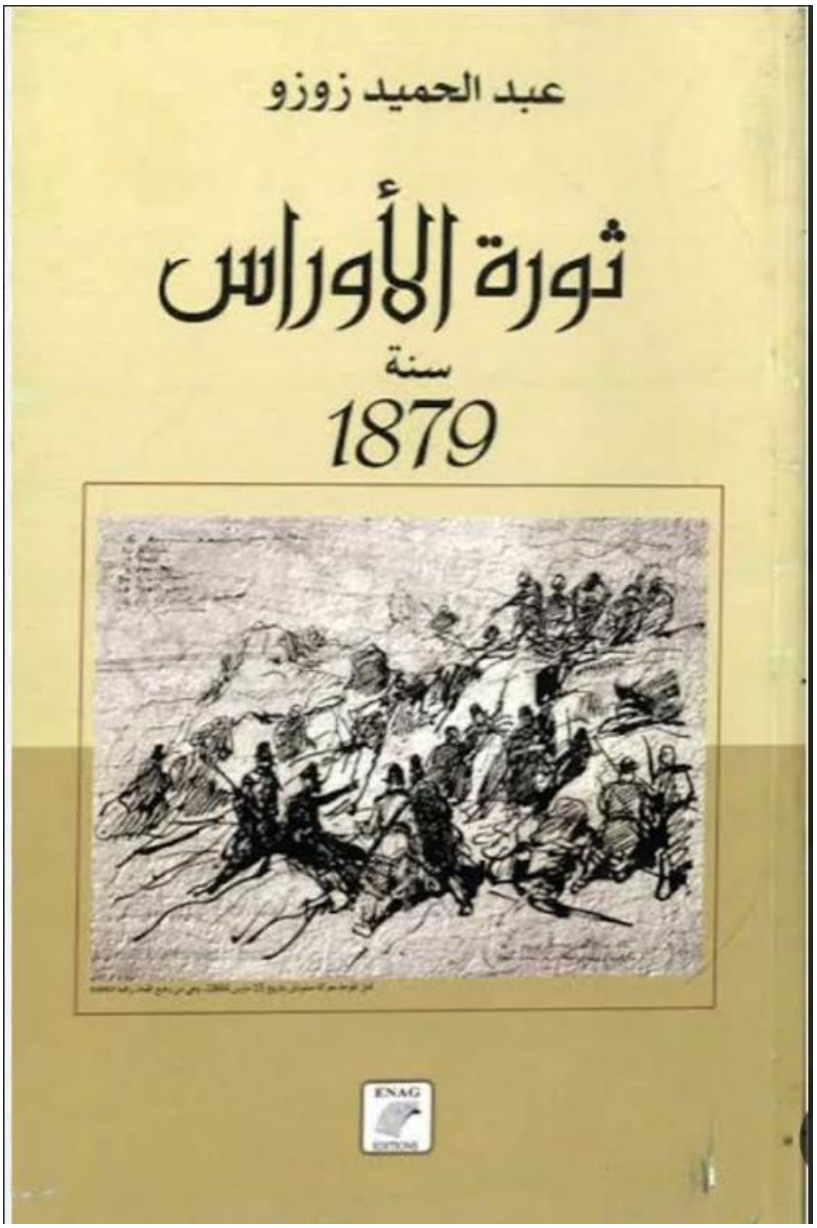
4/ أهداف وأهمية الكتاب.

5/ قيمة الكتاب.

6/ النقد.

يحتل التاريخ المحلي مكانة مركزية في الإنتاج التاريخي للمؤرخ عبد الحميد زوزو اذ جعل منطقة الأوراس ومقوماتها فضاءً خصبا لتطبيق رؤيته التاريخية وهو ما يتجلى بوضوح في كتابه "ثورة الأوراس 1879" وانطلاقا من هذا خصص هذا الفصل لتقديم مراجعة منهجية شاملة لهذا المؤلف، بدأت بالدراسة الظاهرية لتناول الخصائص التوثيقية للكتاب، ثم انتقلنا إلى الدراسة الباطنية التي شملت تفكيك محتوى هذا المتن التاريخي وحصر المصادر والمراجع التي شكلت القاعدة المعرفية لطروحاته كما لم تغفل الدراسة عن تبيان الخصائص الفنية للعمل من خلال استنطاق منهج وأسلوب المؤرخ واستعراض أهداف وأهمية الكتاب، وصولا إلى تقدير القيمة العلمية لهذا العمل ووضعه في ميزان النقد التاريخي.

المبحث الأول: الدراسة الظاهرية لكتاب ثورة الأوراس 1879:



- ✓ المؤلف: عبد الحميد زوزو.
- ✓ عنوان الكتاب: ثورة الأوراس 1879.
- ✓ طول الكتاب: 23,5 سم.
- ✓ عرضه: 15,5 سم.

- ✓ حجمه: من الحجم الصغير.
- ✓ عدد صفحاته: 137 صفحة.
- ✓ مؤسسة الطبع: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية الجزائر.
- ✓ دار النشر: الجزائر.
- ✓ سنة النشر:2009.

على الرغم من الاهمية التاريخية للطبعة الاصلية لهذا العمل التي كانت سنة 1986 ولتعذر الوصول إليها ورقيا جعلنا نستند الى طبعة 2009 لتناول هذه الدراسة

1/ الوصف الخارجي للكتاب:

يتميز غلاف كتاب المؤرخ عبد الحميد زوزو الموسوم بـ "ثورة الأوراس 1879م" بحلة بصرية ذات دلالات تاريخية عميقة، حيث اعتمد المصمم خلفية بلون أبيض الذي يميل إلى الاصفرار.

يتصدر الغلاف اسم المؤلف بخط أسود صريح يليه العنوان الرئيسي الذي كتب بخط عربي كلاسيكي متداخل "ثورة الأوراس" مع إبراز التاريخ 1879م كحقبة زمنية فاصلة.

أما المركز البصري للغلاف فقد احتله رسم تخطيطي تاريخي للفنان "رافييه" يصور مشهدا ملحميا لمقاتلين جزائريين وسط تضاريس جبلية وعرة، وهو اختيار ذكي يربط بين الفعل الثوري وبيئته الجغرافية القاسية مما يعطي انطباعا أوليا للقارئ حول صمود الانسان امام الالة الاستعمارية. وينتهي التكوين الفني للغلاف في الأسفل بشعار دار النشر [ENAG] وهي المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية [Entreprise Nationale des Arts Graphiques]

مما يمنح الكتاب هويته الرسمية كمرجع تاريخي وطني.

أما ظهر الكتاب يشكل امتدادا وثائقيا للمواجهة الأمامية حيث ينفرد بخصوصية سوسيولوجية عالية تتمثل في عرض مخطوطة تاريخية أصلية تشغل الحيز الاكبر من الفضاء الخلفي

المبحث الثاني: الدراسة الباطنية لكتاب ثورة الأوراس 1879

1/ ملخص محتوى الكتاب :

استهل عبد الحميد زوزو كتابه حول ثورة الأوراس 1879م بمقدمة ذات طابع عام شامل، صور فيها وضع الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي خلال القرن التاسع عشر، مبرزا الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية القاسية التي عاشها المجتمع الجزائري، والتي استغلها المستعمر لترويج فكرة انقراضه النهائي. كما تناول السياسات الاستعمارية التي ساهمت في تفكيك البنية الاقتصادية والاجتماعية من ضرائب وقوانين وإجراءات استيطانية، إضافة إلى آثار القمع بعد الثورة (1871م) التي اعتبرت عند الفرنسيين نهاية للمقاومة الجزائرية. وفي مقابل هذا أبرز أن ثورة الأوراس (1879م) جاءت لتكذب هذه الادعاءات الاستعمارية وتؤكد استمرار روح المقاومة لدى الشعب الجزائري رغم ضعف الإمكانيات وقساوة الظروف مما جعلها حدثا ذو دلالة تاريخية وسياسية مهمة .. وختم مقدمته بالإشارة إلى اعتماده على وثائق فرنسية وعربية وزيارات ميدانية لمنطقة الأوراس، بهدف تقديم دراسة علمية دقيقة تعيد قراءة الحدث في سياقه الحقيقي (زوزو، 2009، الصفحات 5–10). وإضافة إلى المقدمة دعم المؤرخ "زوزو" كتابه بمادة توثيقية قيمة تجلت في الصور التاريخية حيث تمثل:

– **الصورة الأولى** : تمثل معركة مشنونش 1844م (زوزو، 2009، الصفحات 12–13) التي عرفها الأمير بوغدادة في مجلة علوم الإنسان والمجتمع حيث وصف مشونش بأنها القرية الواقعة شمال شرق بسكرة والتي تعد بوابة الأوراس من الجهة الجنوبية (بوغدادة، دور الاخوان الرحمانين في المقاومة بمنطقة الزيبان خلال القرن 13 م–19 م، 2022، صفحة 408).

- **الصورة الثانية** : فتنقل مشهدا للحملة على منطقة الأوراس من طرف الجنرال "هربيو" "Herbillon" (زوزو، 2009، صفحة 17)

لينتقل زوزو إلى تعريف الأوراس حيث عرفته الأستاذة ليلى تيتة في مجلة البحوث التاريخية بأنها مجال جغرافي واسع ومحدد المعالم في الشرق الجزائري يتميز بحدود دقيقة تفصله عن المناطق المجاورة ويضم عددا من المدن كما يكتسي طابعا تاريخيا وعسكريا بارزا (تيتة، 2019، صفحة 162).

كما أبرز دور المقاومة في منطقة الأوراس بعد سقوط قسنطينة. فقد ركز في تحليله على قيادات مثل احمد باي واحمد بلحاج، حيث سعى احمد باي إلى توحيد القبائل وإقامة نوع من التنسيق في العمليات ضد الاستعمار، مما أدى إلى توسع نطاق المقاومة، وبلغت أوجها في معركة باتنة 1844م (زوزو، 2009، الصفحات 18-19) ليستعرض بعد ذلك الحملة التي قادها بيدو "Le général Bedeau" ضد منطقة الأوراس في سنة 1845م حيث وصف زوزو كيف أن هذا الضابط إلى جانب الكولونيل "ماك ماهون" "Le Colonel MacMahon" والجنرال لوفاسور "le général Levasseur" قادوا حملة عسكرية كبيرة ضد السكان في الأوراس، وقد اعتمدوا في ذلك على جيش كبير بقيادة عشرة ضباط عامين، حيث خاضوا معارك متعددة مستخدمين الأسلحة المتفوقة والمدفعية في منطقة باتنة ووادي عبدي (زوزو، 2009، الصفحات 20-22) تشكل هذه المنطقة نطاقا انتقاليا بين المجال الجبلي والصحراوي ، حيث تضم أربع بلديات رئيسية (مدور، 2015، صفحة 40)كما استعرض عبد الحميد زوزو في كتابه معركة سريانة التي حدثت على وادي الأبيض في 17 سبتمبر 1849، كانت من أبرز معارك الأوراس، حيث قاد فيها الحاج سي الصادق مقاومة شرسة ضد الجيش الفرنسي، مما ادى الى انتشار الثورة في كامل وادي عبدي وبوزينة (زوزو، 2009، صفحة 23). كما عرض زوزو العوامل التي

تفسر قوة المقاومة في الأوراس اولا العامل التاريخي الذي يبرز رفض الأوراس للاحتلال منذ العهد العثماني ثانيا: الطبيعة الجغرافية التي جعلت المنطقة مناعة وطبيعتها وعرة، وثالثا: التكوين النفسي لسكان الأوراس، الذين يتميزون بالصدق والصبر. رابعا: هو الطريقة الرحمانية في دفع الجهاد وأخيرا: الموقع الجغرافي للأوراس قرب تونس، مما سهل على الثوار التسلل والارتباط بالجالية في الجنوب (زوزو، 2009، الصفحات 27-34).

كما تناول عبد الحميد زوزو في كتابه المراحل الأساسية للثورة 1879 ونتائجها بحيث يتوافق مع ما قدمه الأمير بوغدادة في مقاله "جرائم الاحتلال الفرنسي ضد الإخوان الرحمانيين في منطقة الأوراس خلال القرن 19" حيث أشار إلى المراحل الدموية للثورة ونتائجها الكارثية، فقد مرت الثورة بثلاث مراحل رئيسية: أولا: اندلعت الثورة بعد حادثة قرية الحمام عند ما تصدى السكان لمحاولة اعتقال الشيخ محمد بن عبد الرحمن، فتوالت بعدها هجمات الثوار على القياد ثانيا: جاءت مرحلة الرد الفرنسي، حيث استخدمت القوات الاستعمارية عقابا جماعيا وأحرقت القرى، مما أدى إلى تدهور المقاومة ثالثا: في مرحلة الانسحاب اضطر الثوار للفرار نحو تونس، لكن الكثير منهم توفي في الطريق أما نتائج الثورة، فقد كانت وخيمة حيث سقط 562 شهيدا من المدنيين، دمرت القرى والمداشر ونهبت الثروات الحيوانية والزراعية كما فرضت غرامات مالية ضخمة على العروش وصودرت أراضي لصالح المستوطنين، مع سياسة تهجير واعتقال أتباع الطريقة الرحمانية، مما عكس عنف الاستعمار وعمق التذمر الاجتماعي في الأوراس (بوغدادة، 2022، الصفحات 889-892).

انتقل بعد ذلك إلى تناول أسباب الثورة بحيث يتوافق مع مقدمة يحي بوعزيز في مقاله "انتفاضة سكان الأوراس 1879" حيث أشار إلى أن هذه الانتفاضة المسلحة ظهرت في منطقة جبال الأوراس الغربية أواخر شهر مايو 1879م تحت زعامة الشيخ محمد أمزيان بن عبد الرحمن والذي

عرف بـ (محمد بن جار الله) و (الشيخ بو بوبرمة) باعتباره شخصية دينية بارزة في منطقة الأوراس خلال أواخر ق 19 فقد كان إمام بجامع قرية الحمام وشيخا في زاويتها الدينية كما ورث المشيخة عن الشيخ ابراهيم بن سي الصادق أحد رموز الحركة الوطنية في ثورة (1859) (بوعزيز ي.، 1978، صفحة 227).

وبين سكان أولاد داود في دائرة باتنة وبني بوسليمان في دائرة بسكرة. وقد كانت وراءها عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية من الناحية السياسية اشتد النظام العسكري وضباط المكاتب العربية في سوء معاملة السكان وقهرهم وهو أسلوب عام للاستعمار الفرنسي، لكنه كان أشد في البوادي والجبال، حيث اعتبر السكان بدوا ومتخلفين لا يعترف بحقوقهم أما من الناحية الاجتماعية، فقد تفاقم الصراع بين عائلة بن قانة وعائلة بن شوف حول السيطرة والنفوذ القبلي ومن الناحية الاقتصادية عانى سكان المنطقة من تدهور أوضاعهم المعيشية نتيجة فرض الضرائب الباهضة والمستمرة إلى جانب الاستيلاء على الأراضي الخصبة والثروات الحيوانية وهو ما زاد من حدة الفقر والضغط الاجتماعي (بوعزيز ي.، 1978، الصفحات 225-226) لينتقل بعد ذلك زوزو للتعريف بقائد الثورة محمد بن عبد الرحمن كشيخ ديني وزعيم رحماني نشأ في بيئة زواية وتولى الإمامة والتدريس مما منحه مكانة ونفوذا داخل المجتمع. ويرى أن اندلاع ثورة 1879م كان نتيجة تداخل عوامل دينية واجتماعية واقتصادية أبرزها قمع الزوايا والضغط الاستعماري وتدهور الأوضاع المعيشية. لذلك التف السكان حوله باعتباره رمزا دينيا وقياديا، فكانت الثورة تعبيرا عن رفض السيطرة الاستعمارية وحماية الهوية الدينية والاجتماعية (زوزو، 2009، الصفحات 61-64).

تكتسي الوثيقة التاريخية المستخرجة من الأرشيف الرقمي للمكتبة الوطنية الفرنسية (Gallica) بأهمية بالغة في دراسة الخلفيات السوسيو إقتصادية لثورة الأوراس 1879 وهي جريدة الرسمية الاحتلال الفرنسي "المبشر (Le Mobacher) العدد 1983 الصادرة في 29 جانفي 1879 أي قبل أسابيع قليلة من اندلاع الثورة في المنطقة، وتظهر القيمة التاريخية لهذه الوثيقة في رصدها المباشر لسياسة التطوير المالي التي فرضتها السلطات الاستعمارية حيث يكشف الجدول المالي المرفق حجم الضرائب والمساهمات المفروضة على عمالات الشرق الجزائري (قسنطينة ، سكيكدة)، و إن هذا التصنيف الموثق في الجريدة يشكل دليلا حيا على حجم الاحتقان الذي أدى مباشرة إلى انفجار الثورة تحت قيادة محمد بن عبد الرحمان. (mobachar, 1879, p. 1)

وتندرج الصفحة الأولى من جريدة المبشر الصادرة بتاريخ 19 فيفري 1879 ضمن الوثائق الأرشيفية الحية التي تزامنت مع الظروف الممهدة لثورة الأوراس عام 1879 حيث تظهر المراسيم القانونية المنشورة في هذا العدد مدى تكيف الإدارة الإستعمارية لسياسة نزع ملكيات الأراضي ومنحها مجاناً للمستوطنين وتوسيع البلديات المختلطة وإن هذا التمكين العقاري للمستوطنين يمثل بيانا حقيقيا لسياسة القهر الاقتصادي التي شكلت الدافع المباشر وراء تفجير الغليان الشعبي و حمل أهالي الأوراس لسلاح دفاعاً عن أرضهم في نفس السنة. (mobacher, 1879, p. 1)

فمن خلال دراسة جريدة المبشر الصادرة في 8 فيفري 1879 يتضح جلياً التركيز المكثف للإدارة الاستعمارية على ترتيباتها العسكرية والإدارية في تطويق جبال الأوراس و عزلها عما يجاورها من مقاطعات ولم يقتصر هذا التطويق على الجانب العسكري فقط بل واكبته ترسانة من القرارات الإدارية والقضائية الصادرة عن الحاكم العام والتي قضت بتنصيب قضاة ومساعدين من أهالي الموالين للإدارة الاستعمارية بالتزامن مع تفعيل إجراءات الحجز والمصادرة العقارية ضد القبائل و

هي ذات السياسة الروسية التي شكلت شرارة الغضب وفجرت ثورة الأوراس 1879 ضد المستعمر وأعوانه. (mobacher, 1879, p. 1)

ويظهر الطرف الفرنسي على وصف الحدث و تصويره بـ "التمرد" وهذا ما نجده في كتاب

De lartigue LT, colonel, Monographie de l'Aurés, constantine, 1904

مجرى حصر خلفياته في سياق مصلحي وفئوي ضيق حيث صدوره كخروج معزول عن القانون قادته أرستقراطية دينية متضررة عشيرة (اللحالحة) للدفاع عن نفوذها الروحي والمالي الزائل بعد أن زعمت الإدارة الاستعمارية أنها حررت الفلاح الشاوي إقتصاديا مرجعية الإعداد للعمل العسكري إلى كلمة "سر" ومؤامرة خارجية وفي المقابل يعيد الدكتور عبد الحميد زوزو صياغة هذا المنظور واصفاً الحدث بالثورة الشعبية حيث يفكك الأطروحة الفرنسية ويثبت بالوثائق أنها كانت هبة جماعية واعية شملت مختلف أعراش الأوراس ولم تكن وليدة تحريض خارجي بل نتيجة حتمية لغليان داخلي فجرته السياسة الضريبية التعسفية (كاللزامة و الغرامات) في ظل ظروف المجاعة و الجفاف. (lartique, 1904, p. 140)

<u>مدخل إلى القسم الوثائقي المعتمد عليه في كتاب ثورة الاوراس:</u>

أما بالنسبة للقسم الوثائقي استهل عبد الحميد زوزو حديثه عن الخارطة البشرية للأوراس من خلال توثيق انتشار القبائل ونماذج الخطاب الثوري الداعي للجهاد (زوزو، 2009، الصفحات 65-66) لتنتقل بعدها إلى الحديث عن آليات القهر الاستعماري وهي الآليات التي يبرزها مقال لـ الكاتب عبد اللطيف أبو ريشة = كإستراتيجية ممنهجة لم تكتف بالمواجهة العسكرية بل سعت لتفكيك البنية الاجتماعية والاقتصادية للقبائل وتتجلى هذه السياسة بوضوح في استغلال المستعمر للقيم الاجتماعية كأداة للضغط خاصة عبر سياسة اختطاف النساء اللواتي اعتبرهن رهائن للمساومة على السلاح أو لإذلال القبائل في عرضها (ريشة، 2019، الصفحات 155-156)

أين استعرض عبد الحميد زوزو وثائق تثبت ثقل الضرائب الحربية وتجاوزات المكاتب العربية وعائلة بلعباس (زوزو، 2009، الصفحات 70-87) وفي ذات السياق تحدث عن المواجهة الإدارية والقانونية بين الاهالي والسلطة الفرنسية موثقا شكاوي القبائل مثل أولاد جبارة ضد الشيوخ الموالين والقياد وتتقاطع هذه الرؤية مع ما أورده الامير بوغدادة في مقاله بأن القياد الموالين للاحتلال الفرنسي لعبوا دورا محوريا في تأجيج الغضب الشعبي لمنطقة الأوراس قبل اندلاع ثورة 1871 حيث عانى سكان المنطقة ولا سيما قبيلتي أولاد داود وأولاد جباره من سياسة الابتزاز المالي والتنكيل الممنهج ففي الوقت الذي كان فيه القايد محمد بلعباس يتطاول على حرمات عائلة بن جبارة ويستولي على أملاكهم بغير حق كان باشا تارزي يواجه مطالب قبيلة أولاد داود بالقتل والتصفية.

الجسدية لمجرد محاولتهم رفع شكواهم إلى السلطات العسكرية ببانتة هذه البيئة المشحونة بالظلم الاجتماعي وتواطؤ القياد في نهب أرزاق السكان وحرماتهم من حق التظلم جعلت الثورة ضرورة حتمية لاستعادة الكرامة المسلوبة ومواجهة آلة القمع الاستعماري وأدواته المحلية (بوغدادة، 2022، صفحة 886) وأيضا تحدث عبد الحميد زوزو عن المواصفات السياسية والوثائقية للثورة من خلال الملحق 13 الذي يحتوي على وثيقة تاريخية نادرة تتمثل في رسالة دفاع كتبها بيده قائد ثورة 1879 أمام هيئة المجلس العسكري بقسنطينة (زوزو، 2009، صفحة 112) وقائد هذه الثورة هو شخص من عرش أولاد بوسليمان اسمه الكامل محمد أمزيان بن محمد الصالح بن عبد الرحمن وتاريخ ميلاده حوالي سنة 1849 (بوغدادة، 2022، صفحة 885).

إضافة إلى أن عبد الحميد زوزو استعرض في قسم مصادر البحث ذخيرته الوثائقية التي زاوجت بين المادة الأرشيفية الرسمية والمهارات الحية (زوزو، 2009، صفحة 129) كما تحدث باستفاضة في فهرس اللوحات والخرائط عن البعد الجغرافي والمكاني للثورة والتي أكدها الأمير

بوغدادة في مقاله بأن المجال الجغرافي لهذه الثورة قد شمل أجزاء من ثلاث دوائر عسكرية حسب التقسيم الإداري الفرنسي آنذاك وهي دائرة باتنة في قرية الحمام مركز الثورة قرية إيشمول أريس ووادي الطاقة تيمقاد ثم دائرة بسكرة في قرية تاكوت ودائرة خنشلة متمثلة في قرية ششار (بوغدادة، 2022، صفحة 885).

وفي السياق نفسه استعرض عبد الحميد زوزو مجموعة من المخططات الكارتوغرافية والرسوم التوضيحية التي تجسد مسرح العمليات وتحديد دقة مواقع القبائل ومسارات الحملات الفرنسية (زوزو، 2009، صفحة 133)

إن هذا الثراء المعرفي والدقة في سرد الاحداث التي لمسناها في محتوى الكتاب لم تكن تتحقق لولا استناد عبد الحميد زوزو إلى قاعدة توثيقية صلبة فالبناء التاريخي يقتضي العودة إلى الأصول والمنابع ومن هذا المنطلق ننتقل من التعرض فحوى الكتاب إلى تسليط الضوء على المراجع والمصادر التي اتكا عليها المؤلف.

2/ المصادر والمراجع التي اعتمد ع ليها الكتاب :

اعتمد عبد الحميد زوزو على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع في بناء دراسته لثورة الأوراس 1879 بحيث يمكن تصنيفها إلى ثلاثة مستويات أساسية:

1. أولا المصادر الأرشيفية (الأرشيف الفرنسي)

تعتبر الركيزة الأساسية للبحث حيث اعتمد عليها بالدرجة الأولى لاستقاء التفاصيل الدقيقة وتتوزع بين مركزين:

1- **أرشيف فانسن (Vincennes)** واستفاد منه خاصة في الجوانب العسكرية من خلال صناديق أرشيف المغرب (مجموعة الجزائر) ومن أبرزها الصناديق H191,H216,H235,H25,H211وصندوق رقم 32.

2- **أرشيف إيكس أون بروفانس (Aix-en-Provence)** وهو الأغنى والأكثر تنوعا حيث شملت دراسته سلسلة طويلة من الملفات مثل السلسلة 2H15, 2H33 ,10K35 2H25, 2H32,12H18,14H5,16H2,وغيرها التي تكمن أهميتها في:

- تغطية الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية.
- احتواؤها على الرسائل العربية الموجهة من السكان إلى السلطات والتي سمحت للدكتور عبد الحميد زوزو بالتعرف على اتجاهات الرأي العام الوطني ومواقف الشخصيات المحلية (زوزو، 2009، الصفحات 129-130)

2. ثانيا: الصحف والمجلات (المصادر الدورية)

وظف عبد الحميد زوزو الصحافة المعاصرة للحدث كأداة لرصد صدى الثورة وتفاعلها اليومي ومنها:

1- جريدة المبشر بأعدادها الصادرة في جويلية 1879 وجانفي 1881.

2-ECHO du SAHARA - du 2 nove mbre 1884 et du 23 et du 28 novembre 1884.

2- (صدى الصحراء أعداد 2 نوفمبر و23 - 28 نوفمبر 1884).

3- Bulletin de la Société de géographie de paris, T20 juillet – décembre article de lattruffe intitulé : les monts aurés, note historique et géographique.

(مجلة الجمعية الجغرافية بباريس المجلد 20 (جويلية ديسمبر) مقال لـ لاتروف بعنوان جبال الأوراس ملاحظة تاريخية وجغرافية).

4- Revue africaine, année 1925 article de "Luciani" intitulé : souvenir de l'insurrection de 1879.

(المجلة الإفريقية سنة 1925 مقال لـ لوسياني بعنوان ذكرى انتفاضة 1879).

5- Revue des deux mondes du 15 juin 1857 la prise de Narah en janvier 1850 par Charles ROCHER.

(مجلة العالمين عدد 15 جوان 1857 مقال بعنوان الاستيلاء على "نارة" في جانفي 1850 بقلم شارل روشي). (عبد الحميد زوزو 2009 صفحات 130 131).

ثالثا: المراجع المطبوعة (الكتب)

1-أوضح الدكتور عبد الحميد زوزو أنه اقتصر على المراجع التي تقدم إضافة حقيقية أو وثائق أصلية متجنبا تلك التي تكتفي بنقل التقارير العسكرية حرفيا ومن أبرز ما اعتمد عليه:

- الدراسات المونوغرافية: مثل كتاب الكولونيل دي لارتيق (monographie de l'aurés).
- الكتب المتخصصة في الأنساب والقبائل:

les Bengana depuis la conquête française (paris 1879)

- (البنغانا منذ الغزو الفرنسي باريس 1879).

1/ Gaukion Marthe et Edmond Kitab Aâyane El maghariba Alger 1920

- (جوفيون مارثا وإدمون كتاب أعيان المغاربة الجزائر 1920)

الدراسات التاريخية :

1// DEMARGON, insurrection dans la province de Constantine de 1870 à 1880 (Paris 1883)

(ديمارغون، الانتفاضة في مقاطعة قسنطينة من عام 1870 إلى 1880، باريس 1883)

المخطوطات :

1/ Manuscrit déposé aux archives de la présidence du conseil intitulé : notes sur l'historique de quelques familles de Constantine.

(مخطوطة مودعة في أرشيف رئاسة المجلس بعنوان ملاحظات حول تاريخ بعض عائلات قسنطينة) (زوزو، 2009، الصفحات 131-132)

بعد الإحاطة بالقاعدة التوثيقية الصلبة التي ارتكز عليها كتاب ثورة الأوراس 1879 يبرز تساؤل جوهري حول الطريقة العلمية التي اتبعها الباحث في التعامل مع تلك المادة الخام إذ أن قيمة المصدر تتمثل بدقة المنهج وجمالية الأسلوب ولبيان ذلك سنحاول في العنصر الموالي استعراض الادوات المنهجية والسمات الاسلوبية التي طبعت كتابة عبد الحميد زوزو.

3/ منهج وأسلوب كتابة ثورة الأوراس 1879 م

أ – منهج الكتاب :

اعتمد المؤرخ عبد الحميد زوزو على منهجية خاصة خلال كتابته لكتاب "ثورة الأوراس سنة 1879 م". اعتمد على منهج يجمع بين الاستقراء والاستنباط ، حيث كان يجمع المادة التاريخية من مصادر متعددة ويقوم بمقارنتها وتحليلها واستقراءها ثم يستنبط منها دلالات وطنية مما يدل على اعتماده منهجا علميا نقديا في كتابه التاريخ (مياد، 2022، صفحة 68) وإلى جانب المنهج النقدي وظف المؤرخ عبد الحميد زوزو أيضا منهج الكم الإحصائي خاصة في ضبط الملاحق المالية مثلما يتضح في قوله "مقدار الضرائب العربية المفروضة عليها" (زوزو، 2009، صفحة 72)

كما اعتمد على المنهج التحليلي في ختام قائمة الملاحق حيث وظف عبد الحميد زوزو المنهج الموضوعي في عرض الوثائق التي تبرز المواقف التاريخية ويظهر ذلك في قوله "رسالة دفاع وتبرير من قائد ثورة 1879 إلى هيئة المجلس العسكري بقسنطينة". (زوزو، 2009، صفحة 212)

بالإضافة إلى اعتماده على منهج علمي قائم على التحليل والتفسير والموضوعية مبتعدا عن العاطفة والسر، وفي هذا السياق أولى اهتماما كبيرا بالمصادر المحلية مادية وشفوية باعتبارها أساسا مهما في تدوين تاريخ الثورة بموضوعية. (دحماني، 2024، صفحة 33)

كما اعتمد المؤلف على البيبليوغرافيا لتنظيم مادته العلمية ويتجلى ذلك في قوله "مصادر البحث وفهرس اللوحات والخرائط" مما يدل على منهجية أكاديمية منظمة تهدف إلى تسهيل استرجاع المعلومات (زوزو، 2009، صفحة 133).

واعتمد أيضا منهج تحليلي استدلالي يتجلى في استنطاق الوثائق التاريخية، مدعوما بالمنهج الجغرافي من خلال تحليل الخرائط لفهم الحدث ويظهر ذلك من خلال قول زوزو "خريطة القبائل الأوراسية عشية الثورة" (زوزو، 2009، صفحة 65).

كما يعتمد على منهج المقارنة والتمحيص حيث لا يسلم بالرواية الفرنسية بل يواجهها بالوثائق المحلية لاستجلاء الحقائق النفسية والمصاحبة للثورة ويبرز ذلك في قول "بينت فيه إمكانية دراسة هذه الثورة لتوفر الوثائق حولها بأماكن في فرنسا مختلفة ولا سيما وأن تلك الوثائق بالفرنسية تتخللها وثائق بالعربية ومن ثم تحرير السكان أنفسهم والتي قد تساعد الباحث على تفسير بعض الأحداث" (زوزو، 2009، صفحة 8)

كما إتبع زوزو منهجا واقعيا يتجاوز مجرد السرد للأوراق الأرشيفية، فهو يرى أن الوقوف على مسرح الأحداث يساعد الباحث على فهم أعمق للمناطق والأحداث، ويبرز ذلك في قوله: "وكانت زيارتي المتكررة لمنطقة الأوراس خلال سنة1981 مصدرا آخر مكنني من الوقوف على أطلال قرية جار الله مسقط رأس قائد ثورة سنة 1879... والتعرف على طبيعة البلاد الوعرة وتضاريسها... وتصور الإطار الجغرافي العام للمنطقة كلها". (زوزو، 2009، الصفحات 8-9)

كما تميز منهجه بجمع بين عدة أبعاد متكاملة، فقد مال بشكل واضح إلى توظيف الوثائق إذ اعتمد بشكل أساسي على الأرشيف الفرنسي العسكري مثل أرشيف "فانسون" (Vincennes) وأرشيف "إيكس أون بروفانس" (Aix-en-Provence) لتغطية عدة جوانب سياسية، اجتماعية واقتصادية. بالإضافة إلى ذلك مراسلات إدارية متنوعة نذكر منها:

- "رسالة من أولاد إلى لجنة التحقيق".
- "رسالة طويلة من أولاد حبارة إلى لجنة التحقيق".

فضلا عن "رسالة دفاع وتبرير من قائد ثورة سنة 1879 م".

وهذه الوثائق المتنوعة تبرز منهجيته الشاملة وقدرته على الإحاطة بالموضوع من مختلف جوانبه، مما يجعل تصوره للأحداث دقيقا وموضوعيا

بالإضافة إلى أرشيفات مثل جريدة "المبشر" بأعدادها (9 جويلية 1879 م، 22 جانفي 1881 م) وغيرها مما يجعلها بعض مصادر أولية موثوقة.

ب . أسلوب الكتابة :

أما عن الأسلوب الذي اعتمد عبد الحميد زوزو فقد تميز بالوضوح والبساطة، حيث حرص على تقريب الكتابة التاريخية من القارئ. (مياد، 2022، صفحة 68)

أما بالنسبة للغة فتجد عبد الحميد زوزو متمكنا في اللغة العربية حيث نجد أسلوبه في الكتابة يتميز بالسهولة والدقة والسلاسة الأسلوبية، حيث اتسمت عباراته بالوضوح والتنظيم وحسن التسلسل، مع توظيف محسوب لبعض التعابير التصويرية التي تضفي على النص بعدا أدبيا دون الإخلال بطابعه العلمي. ويبرز ذلك في قوله: "ثمرة جهود كبيرة يبذلها الباحث لإخراجه في محتواه النقي الصافي من بين خليط هائل من المعلومات المتضاربة... التي تحتويها اكوام وأكوام من الأوراق" ص 9.(وكما كانت الضرائب المفروضة والطرائق التي تاتيها السكان دور في الإخلال بالتكافؤ النسبي بين إمكانياتهم والمقادير المستخرجة، وبالتالي عدم استفادة السكان الذين هم في غالبيتهم فلاحين من مجهودات علمهم)، يظهر في ص 6.

كما أنه أسلوبه يتميز بالتركيز والإيجاز وتجنب الحشو، فهو يرفض الإطالة التي لا تضيف جديدا، بل يسعى دوما لتقديم المادة الخام والمعلومات التي لم تسبق دراستها، فهو يطبق مبدأ الجدة في البحث قبل ضخامة الصفحات، ويتجلى ذلك في قوله: "وقد حرصت كعادتي في الكتابة

على تفادي الحشو وتقديم ما هو في نظري جديد للقارئ حول موضوع من مواضيع البحث غير مكرر ولا متناول لما سبقني إليه غيري" ص 9. (زوزو، 2009، صفحة 9)

كما يتميز أسلوب المؤرخ عبد الحميد زوزو بالدقة العلمية والصراحة المنهجية من خلال توظيف للإحصاءات ومعطيات الرقمية والشهادات التاريخية

إضافة إلى توظيف الأرشيف الفرنسي، حيث لم يتعامل معه كمجرد مادة خام للسرد، بل أعاد استنطاقه وفق رؤية منهجية نقدية. وهذا ما يتقاطع مع الطرح المنهجي للدكتور نور الدين ثنيو[1] الذي يؤكد أن التعامل مع الوثيقة الأرشيفية يتطلب قراءتها في سياقها التاريخي ومدلولاتها اللغوية والثقافية.

لقد استطاع المؤرخ زوزو تثمين هذه المادة الأرشيفية وتحويلها من تقارير إدارية وعسكرية صاغها المستعمر بمركزية أوروبية، إلى وثائق تثبت كيان الأمة والمقاومة الوطنية، حيث تحول الأرشيف بفضل التحليل الباطني من ورق صامت إلى دليل قاطع على وجود تنظيم ومجتمع متكامل، وهو ما ينسجم مع توجهات المدرسة التاريخية الجزائرية في استعادة الذاكرة الوطنية (ثنيو، 2026).

وفي الأخير يجب الإشارة إلى عدم توفر الدراسات التي تتناول منهج وأسلوب المؤرخ عبد الحميد زوزو تحليليا، عمدنا في المبحث الثالث إلى استقراء المناهج والأساليب التي يتبعها طيف من المؤرخين الجزائرين المنتمين للمدرسة الجزائرية، ومن ثم إسقاط هذه النماذج على الإنتاج التاريخي للمؤرخ زوزو لاستنباط معالم منهجه وأسلوبه الخاص.

[1] نور الدين ثنيو: هو باحث ومؤرخ جزائري، وأستاذ التعليم العالي بجامعة وهران، متخصص في الفلسفة والتاريخ وتحديداً في قضايا الحداثة والفكر العربي المعاصر والتاريخ الثقافي.

وبعد الوقوف على المنهج والأسلوب اللذين اعتمدهما عبد الحميد زوزو، ننتقل الآن وفي المطلب الرابع لتسليط الضوء على الأهداف المتوخاة من وراء مؤلفه، وبيان الأهمية التاريخية لكتابه.

4/ أهداف وأهمية الكتاب، ثورة الاوراس 1879م.

أ/ أهداف :

تتمثل أهداف هذا الكتاب في عدة نقاط أساسية سعى المؤلف إلى تحقيقها من خلال دراسته لثورة 1879م:

1. بناء الأحداث من خلال الرؤى المتعددة:

يتمثل الهدف الأول للمؤلف في بناء أحداث ثورة الاوراس عبر تشجيع الرؤى المختلفة ونقدية القراءة التفسيرية للأحداث فهو لا يقتصر على سردها بل يسعى لفهم أبعادها السوسيو–اجتماعية.

2. وصل الحاضر بالماضي:

الهدف من كتاب ثورة الاوراس لعبد الحميد زوزو هو ربط الشباب الجزائري بماضيه وحاضره من خلال المحافظة على شخصيته والتمسك بدينه والعمل على الإشادة بوطنه (حكيم ا.، 2011، صفحة 9).

3. إعادة الاعتبار للتاريخ الوطني والدفاع عن الهوية:

الهدف الرئيسي كان التصدي للتشويه المنهجي الذي مارسه المؤرخون الاستعماريون الذين حاولوا طمس الجزائريين بحضارتهم وجعلهم شعب بلا هوية (مياد، 2022، صفحة 64)

4. بث الوطنية والوعي القومي:

كان يهدف إلى بث الروح الوطنية في نفوس الشباب الجزائري وجعل التاريخ وسيلة للنضال السياسي وتعبئة الجماهير ضد الوجود الكولونيالي (مياد، 2022، صفحة 69).

5. تقديم بديل وطني:

هدف كتابه هو عدم ترك المجال شاغراً للدراسات المعادية للوطن التي تشكك في شخصية الجزائر ومستقبله. (حكيم ا.، 2011، صفحة 4)

6. تقديم قراءة شاملة للثورة وإعادة بناء الذاكرة التاريخية:

ختم المؤلف أهدافه بمحاولة تقديم قراءة شاملة ومتكاملة للثورة و إعادة بناء الحدث التاريخي بكل أبعاده السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية فهو لا يكتفي بسرد الوقائع بل يسعى إلى تحليلها وربط جوانبها ببعضها البعض لفهم مسار الثورة ونتائجها.

ب/ أهمية:

تبرز الأهمية الكبيرة لهذا العمل من خلال مجموعة من النقاط التي توضح دوره في إثراء المعرفة التاريخية وفهم أعمق للثورة:

1) إبراز مرحلة مهمة في تاريخ المقاومة:

ليكشف الكتاب عن حقبة حاسمة في تاريخ النضال الجزائري ويبرز منطقة المدية باعتبارها مركزا استراتيجيا للمقاومة.

2) فهم السياق التاريخي للثورة:

يقدم الكتاب خلفية شاملة للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الاوراس قبل الثورة مما يساعد الباحثين على فهم أعمق لمسار المقاومة.

3) سد الفراغ التاريخي ومواجهة الاستعمار:

تكمن الأهمية القصوى للكتاب في عدم ترك المجال شاغرا للدراسات الأجنبية والمعادية التي كانت تشكك في شخصية الجزائر ومستقبلها وإنقاذ التاريخ والتراث الثقافي من محاولات التشويه التي مارستها الإدارة الاستعمارية الفرنسية

4) الشمولية والموسوعية:

يعد الكتاب مرجعا لا يمكن للباحثين الاستغناء عنه نظرا لشموليته

5) الأثر القومي والتربوي:

تكمن أهمية هذا الكتاب في إحياء الوعي لدى الجزائريين وإثبات انتماءاتهم لأمة تملك تاريخا ماجدا يبعث على الفخر (حكيم ا.، 2011، الصفحات 3-4).

6) اعتمد عبد الحميد زوزو في كتابه على عدد لا بأس به من المصادر وكذلك عدد من الدراسات الفرنسية (عمارة، 2011، صفحة 223)

7) تكمن أهمية الكتاب في كونه دراسة متعمقة لثورة 1879 التي لم تحظ بنفس القدر من الاهتمام التاريخي مقارنة بثورة المقراني أو بوعمامة رغم قوتها وتأثيرها.

يقدم مصادر أصلية تساعد الباحثين على مواصلة البحث وتوسيع دائرة المعرفة حول الثورة.

وفي الأخير نلفت الانتباه إلى أنه نظرا لعدم توفر الدراسات التي أفردت حيزا تحليليا لبيان أهداف وأهمية كتاب ثورة الاوراس 1879للمؤرخ عبد الحميد زوزو فقد سعينا في المطلب الرابع إلى استعراض الأهداف والأهمية المعرفية التي قامت عليها كتابات ثلة من مؤرخي المدرسة الجزائرية ومن ثم اتخاذها مرتكزات مرجعية لإسقاطها على نتاج عبد الحميد زوزو وذلك من أجل استخلاص أهمية وأهداف مؤلفاته.

إن الإلمام بالأهداف التي رسمها عبد الحميد زوزو والأهمية التي اكتسبها مؤلفه يدفعنا إلى استنطاق القيمة العلمية لهذا العمل، وهو ما سنحاول توضيحه في المطلب الخامس.

مطلب 5: قيمة كتاب ثورة الاوراس 1879 :

لكتاب "ثورة الاوراس عام 1879" لعبد الحميد زوزو قيم تتمثل في:

1. نموذج دراسة جرائم الاحتلال:

تكمن قيمتها في كونها نموذجا حيا لسياسة الإبادة التي انتهجها الاحتلال الفرنسي ضد الشعب الجزائري بصفة عامة وضد الطرق الصوفية خاصة الإخوان الرحمانيين بصفة خاصة.

2. تجسيد رد الفعل الجزائري:

تلخص الثورة طبيعة رد الفعل الشعبي تجاه الممارسات الاستعمارية حيث شملت الدراسة أسباب اندلاعها، مراحلها، ونتائجها (بوغدادة، 2022، صفحة 884).

3. إبراز الدور الاجتماعي والسياسي للزوايا:

أكدت الثورة على القوة الروحية والسياسية للطريقة الرحمانية التي كانت بمثابة الوقود الذي يلهب الثورات في المنطقة (بوغدادة، 2022، صفحة 884).

4. رصد الآثار الوخيمة لسياسة العقاب الجماعي:

تبرز قيمة الدراسة التاريخية في إحصاء نتائج الثورة ومنها استشهاد 562 شخصاً من المدنيين ومصادرة 2777 هكتار من الأراضي (بوغدادة، 2022، الصفحات 891-892).

5. توثيق المقاومة النسوية الشاملة:

وثقت الدراسة مشاركة المرأة الأوراسية بفاعلية في أحداث الثورة وهو ما يضفي قيمة تاريخية واجتماعية للبحث (بوغدادة، 2022، صفحة 890)

6. القيمة المنهجية للكتاب:

تميز بالانكباب على الأرشيف والمخطوطات في مختلف مكتبات العالم لجمع المادة التاريخية وتوظيفها (خالد، 2016، صفحة 78)

7. يقدم الكتاب قيمة وطنية بارزة حيث يهدف إلى تنمية الوعي الوطني وبحث روح الانتماء لدى الأجيال من خلال استحضار تاريخ الجزائر (مياد، 2022، صفحة 69)

وفي الأخير نشير إلى أنه لعدم وجود دراسات سابقة تقيم قيمة كتاب المؤرخ عبد الحميد زوزو، اضطررنا في المطلب الخامس إلى البحث في نماذج لمؤرخين آخرين من المدرسة الجزائرية ومن ثم إسقاط معاييرهم على كتابه لاستنباط قيمته العلمية.

إن هذه القيمة العلمية والمكانة المرجعية التي حظي بها لكتاب "ثورة الاوراس عام 1879" لا تنفي إغفال الجانب النقدي في دراسته وهذا ما سنحاول التركيز عليه في العنصر الموالي.

6/ نقد كتاب ثورة الاوراس عام 1879:

على الرغم من القيمة العلمية التي يتمتع بها ثورة الاوراس عام 1879 للمؤرخ عبد الحميد زوزو وما يقدمه من إضافة نوعية في مجال دراسة تاريخ المقاومة الجزائرية إلا أنه لا يخلو من بعض الملاحظات النقدية والتي تتمثل في:

نلاحظ أن نتائج الثورة 1879: جاءت في الصفحة 52 بينما البحث عن أسباب الثورة جاء بعدها في الصفحة 54 منهجيا كان من الأفضل ان تسبق الأسباب النتائج لأن الأسباب هي المحرك والنتائج هي الثمرة (زوزو، 2009، الصفحات 52-54)

بناءً على قراءتنا لمدخل الوثائق نرى أن المؤلف نجح في بناء قاعدة إثبات قوية لدراسته، يظهر ذلك من خلال أنه لم يكتف بالجانب الإداري بل دعمه بالبعد الجغرافي ويظهر ذلك من خلال قوله "خريطة باهم القبائل الأوراسية مشية الثورة (زوزو، 2009، صفحة 66)" مما يمنح البحث دقة مكانية واضحة كما نلمس في هذا العمل الموضوعية في اختيار المادة العلمية حيث أعطى المؤلف كلمة للأهالي ليوثق معاناتهم ويظهر ذلك من خلال قوله "رسالة من أولاد داود إلى لجنة التحقيق" (زوزو، 2009، صفحة 75)وهو ما يجعلنا كما حين نلمس الجانب الإنساني في التاريخ.

جاء الكتاب بتنظيم محكم حيث قسمه المؤلف إلى فصول تتبع التسلسل الزمني والموضوعي (الأسباب، المحتوى، النتائج) مما يسهل على القارئ تتبع الحدث التاريخي دون تشتت.

استخدم زوزو لغة جيدة بعيدة عن الإنشاء الأدبي المفرط وهو ما يتناسب مع طبيعة الدراسات التاريخية الأكاديمية.

لم يكتفِ زوزو بنقل ما جاء في التقارير الفرنسية بل أخضعها للتمحيص والمقارنة محاولا استنطاق المسكوت عنه في الرواية الرسمية الفرنسية وهو ما يعد ركيزة في منهج المدرسة الجزائرية التي ينتمي إليها عبد الحميد زوزو.

إن انخراط زوزو في صلب المدرسة التاريخية الجزائرية يتجلى بوضوح في قدرته على تحويل ثورة الاوراس من مجرد واقعة عسكرية في الأرشيف الفرنسي إلى رمزية وطنية حية فلم يكن رهينا للغة الأرشيف بل كان سيدا لنتائجه.

إعتمد زوزو علا الأرشيف الفرنسي بشكل كامل و إن المصادر المحلية بشكل شبه كامل و إن المصاددر المحلية الشفوية و المخطوطات لم تحضر بقوة .

في ختام هذا الفصل يمكننا القول بأن دراستنا التحليلية الاوراس 1879قد مكنتنا من استخلاص صورة متكاملة عن الممارسة التاريخية لدى المؤرخ عبد الحميد زوزو فمن خلال الدراسة الظاهرية والباطنية تبين لنا مدى التزام الباحث بالدقة التوثيقية وقدرته على الاعتماد لقاعدة ثرية من المصادر والمراجع لصياغة سردية تاريخية تعيد الاعتبار للتاريخ المحلي الجزائري.

إضافة إلى أن كشف منهج وأسلوب ع ح زوزو لم يكن مجرد ناقل للأحداث بل كان باحثا يملك أدوات التحليل والمقارنة وهو ما أضفى على كتابه أهمية وقيمة علمية ثابتة.

وأخيراً فإن وقوفنا عند محطة النقد سمح لنا بتقدير حجم الإضافة العلمية والمعرفية التي قدمها المؤرخ مع الإشارة إلى أن أطروحاته تظل نموذجا حيا للمدرسة التاريخية الجزائرية مما يجعل عمله هذا مرجعا لا غنى عنه في فهم حركية المجتمع الجزائري خلال القرن 19.

خاتمة

خاتمة

1. تجلت ريادة المؤرخ عبد الحميد زوزو المنهجية في إعتماده على المنهج النقدي في التعامل مع المادة الأرشـيفية الكلونيالية فل يكن مجرد ناقلا للأحداث بل وظف آليات النقد الظاهري و الباطني لتفكيك الخلفيات الأيديولوجية للوثيقة الفرنسية والتقارير العسكرية كما تميز منهجه بالانتقال من السرد التقليدي إلى التحليل السوسيو اقتصادي المقارن، وربط التاريخ المحلي بالتاريخ الوطني الشامل.
2. تتأكد ريادته الموضـــوعية في كونه من أوائل الذين أخرجوا الكتابة التاريخية الجزائرية من السرد التقليدي إلى التعدد والتنوع في حقول الدراسة.
3. لم يكتف بالتاريخ السياسي أو العسكري بل اقتحم موضوعات غزيزة فشمل إنتاجه التاريخ السـوسـيو اقتصـادي (كمجاعات والأوبئة ، ثقل الضـرائب) و تاريخ النخب والمراسـلات الدبلوماسـية كمراسـلات الأمير عبد القادرو قضـايا الهجرة والنفي، وصـولًا إلى تأصـيل المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة.
4. تتبلور ريادته الوطنية في جعل كتاباته مشروعًا نضاليًا واسترجاع السيادة التاريخية، وتطهير الذاكرة قد خاض زوزو معركة صـــراع المصـــطلحات بكل جدارة فكك المصـــطلحات الاستعمارية و حولها من (تمرد عصيان ، خروج عن القانون) إلى(ثورات ومقاومات شعبية مشروعة) كثورة الأوراس 1879 و ثورة بوعمامة .

5. إن ريادة عبد الحميد زوزو في المدرســـة التاريخية الجزائرية قامت على التمازج المتين بين أدواته المنهجية الصارمة وتعدد حقوله الموضوعاتية و روحه الوطنية الملتزمة.

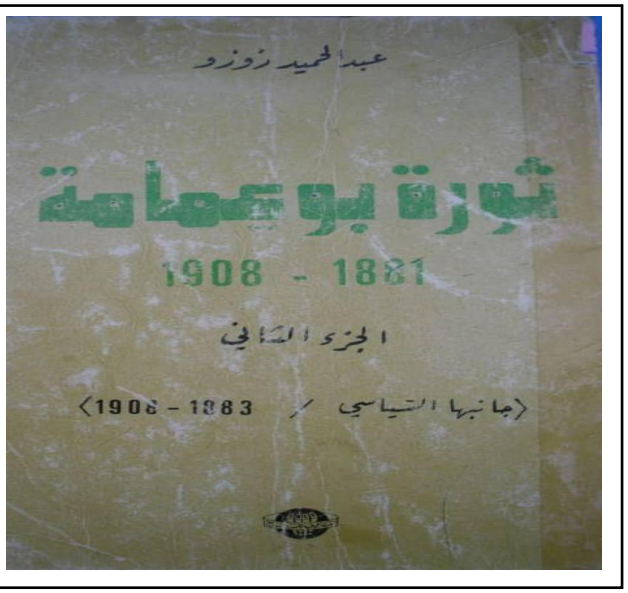
6. توجه الدراسات التاريخية إلى الدراسات المونوغرافية حيث أصبحت محدودة المكان والزمان وهذا ما نجده عند عبد المجيد زوزو.

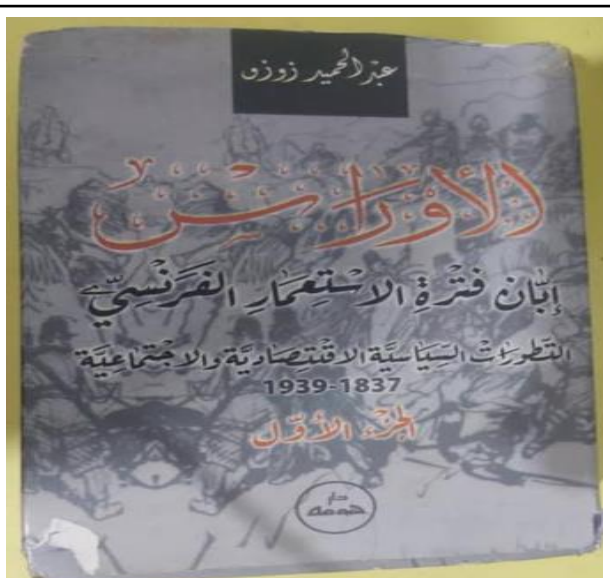
الملاحق

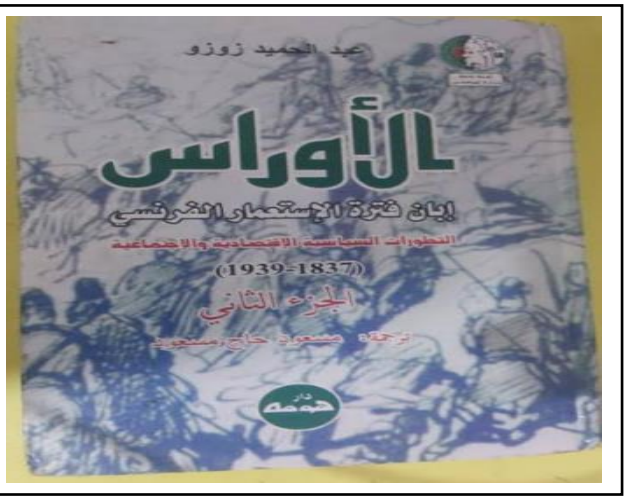
الملحق رقم 01: صور لبعض كتب الدكتور عبد الحميد زوزو المتحف الجهوي

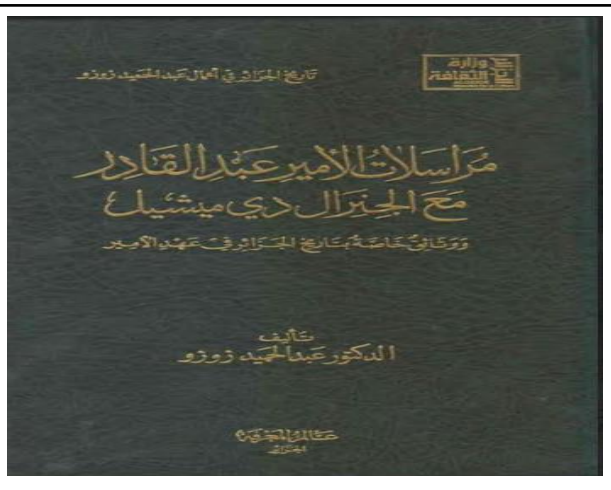


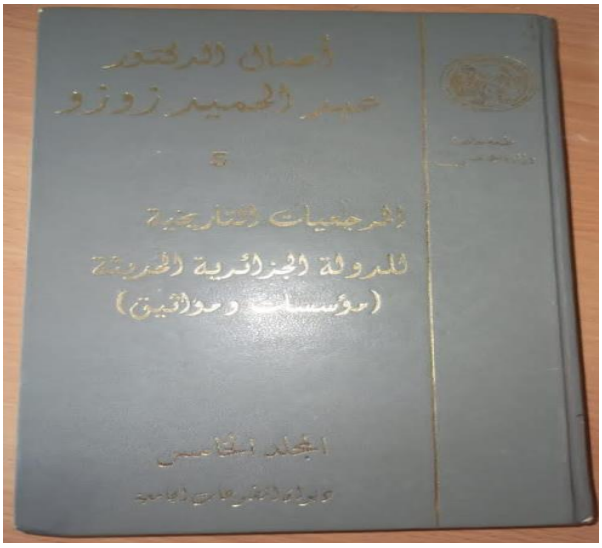


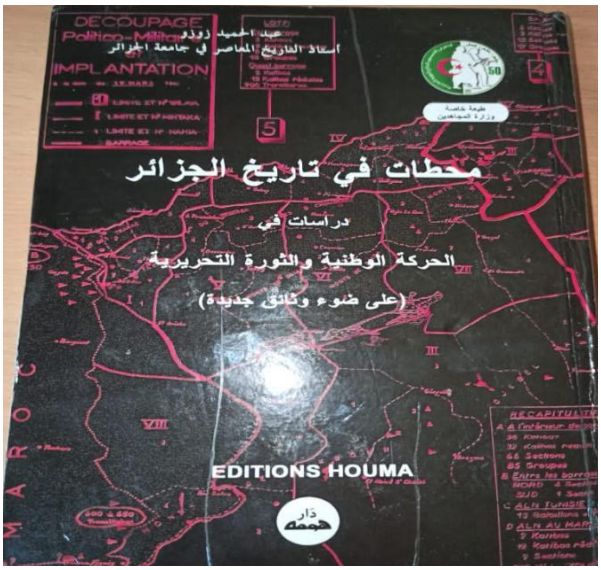






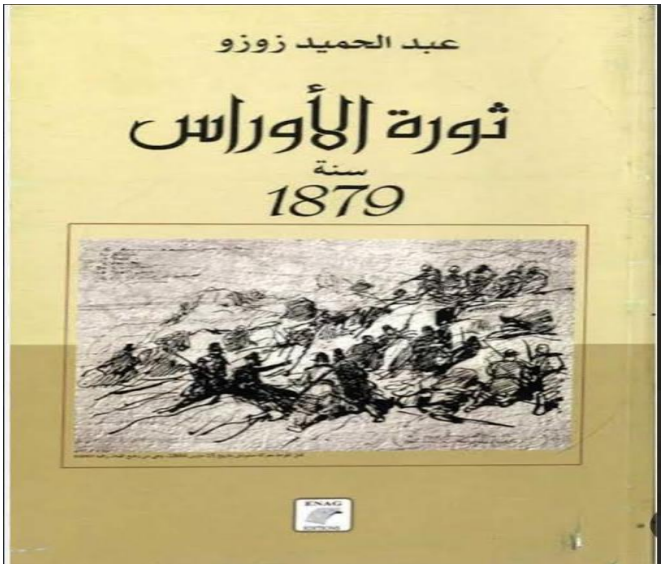



أعمال الدكتور
عبد الحميد زوزو
5
المرجعيات التاريخية
للدولة الجزائرية الحديثة
(مؤسسات وحوافيق)
المجلد الخامس


DECOUPAGE
IMPLANTATION
محطات في تاريخ الجزائر
دراسات في
الحركة الوطنية والثورة التحريرية
(على ضوء وثائق جديدة)
EDITIONS HOUMA
دار
همه


أعمال الدكتور
عبد الحميد زوزو
6
تاريخ أوربا والولايات المتحدة
1945-1914
تاريخ الإستعمار والتحرر في
إفريقيا وآسيا
المجلد السادس


أعمال الدكتور
عبد الحميد زوزو
4
الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا
بين الحربين (1914-1939)
نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر
(1830-1900)
المجلد الرابع


عبد الحميد زوزو
ثورة الأوراس
سنة
1879
ENAG

الملحق رقم 02: صورة للدكتور عبد الحميد زوزو



قائمة المصادر والمراجع

المصادر و المراجع المعتمد عليها :

المصدر :

الكتب :

1. بارنز، هـ. إ. (2012). تاريخ الكتابة التاريخية (م. ع. برج، مترجم؛ س. ع. عاشور، مراجع؛ ج. 1). دون ناشر.
2. زوزو، ع. (2010). نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900) (مج. 4). وزارة المجاهدين.
3. زوزو، ع. (2011). الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي: التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (1837–1939) (ط. 2). دون ناشر.
4. زوزو، ع. (2011). ثورة الأوراس 1879م. المؤسسة الوطنية، وحدة الرغاية.
5. زوزو، ع. (2013). مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال ديميشال. وزارة الثقافة.
6. الأمير عبد القادر. (1881). تحفة الزائر في تاريخ الجزائر (ج. 2). دار الهدى.
7. زوزو، ع. (2005). محطات في تاريخ الجزائر: دراســـات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية. دار هومة للنشر.

المراجع :

1 – الكتب :

1. بوعزة، ب. (2007). رواد المدرسة التاريخية الجزائرية. الجزائر.
2. الجيلالي، ع. ر. (1965). تاريخ الجزائر العام (ج. 1). دار الأمة.
3. جرتني، م. و. (د. ت.). الجزائريون في فرنســا ومســاهمتهم في النمو الوطني من خلال قراءة في كتاب الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين (1914–1939) لعبد الحميد زوزو.
4. خليفي، ع. ق. (2015). الكتابة التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في الحقبة الكولونيالية: دراســة نماذج من إسهامات أحمد توفيق المدني خلال (1931–1953)
5. زوزو، ع. (2009). ثورة الأوراس 1879. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية.

6. زوزو، ع. (2010). ثورة بوعمامة (1881–1908). طبعة خاصة بوزارة المجاهدين.
7. زوزو، ع. (2013). مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال ديميشال. دار المعرفة.
8. الزغيدي، م. ح. (2009). مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائري 1962. دار هومة.
9. ساحلي، م. ش. (2002). تخليص التاريخ من الاستعمار (م. هناد، مترجم)
10. سعد الله، أ. ق. (1996). أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (ج. 4، ط. 1). دار الغرب الإسلامي.
11. سعد الله، أ. ق. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي (ج. 1، ط. 1). دار الغرب الإسلامي.
12. سعد الله، أ. ق. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي (1830–1954) (ج. 7). دار الغرب الإسلامي.
13. سعد الله، أ. ق. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي (ج. 8). دار الغرب الإسلامي.
14. سعد الله، أ. ق. (2007). أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (ج. 1). دار البصائر.
15. سعيدوني، ن. د. (2007). ورقات جزائرية: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني (ط. 2). دار البصائر.
16. ستورا، ب. (2012). تاريخ الجزائر بعد الاستقلال 1962–1988 (م. كعدان، مترجم)
17. طحلح، خ. (2012). الكتابة التاريخية (ط. 1). دار تويقال للنشر.
18. عمارة، ع. (2011). ملاحظات حول تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمان الجيلالي.
19. منور، ع. (2006). تاريخ المقاومة الجزائرية. دار المعرفة.

2 – المقالات و المجلات :

1. بن فاطمة، س. (2017). الهجرة الجزائرية إلى فرنسا خلال فترة الاحتلال الفرنسي (1830–1962): قراءة في الأسباب والدوافع. مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة تبسة، الجزائر، العدد 27.
2. وومان، ح.، والتلمساني، ي. (2017). دور نجم شمال إفريقيا في توحيد النضال السياسي المغاربي المشترك (1926–1937). مجلة تاريخ العلوم، جامعة خميس مليانة، العدد 01.
3. قرباش، ب. (2022). معاهدات السلم الجزائري مع البرتغال وصقلية والوساطة الإنجليزية (1810–1813). مجلة البحوث التاريخية، جامعة أم البواقي، الجزائر، مجلد 06، عدد 01.

4. زاوي، أ.، وميـاد، ر. (2022). منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين: الشـــيخ مبارك الميلي أنموذجًا. مجلة الدراسات في التنمية والمجتمع، جامعة يحيى فارس المدية، مجلد 07، عدد 01.
5. بلعربي، خ. (2016). المؤرخ أبو القاســـم ســـعد الله ومنهجه في الكتابة التاريخية. المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مجلد 07، عدد 02.
6. حيمي، ي. (2025). الأمير عبد القادر من خلال دراســة كتاب أقنيســان بولي ســتيبانو نوفيتش. مجلة جامعة مولود معمري، مجلد 20، عدد 01.
7. أبو عمران، س. (2005). الأمير عبد القادر الجزائري رمز المقاومة الجزائرية. مجلة المصــادر، جامعة الجزائر، العدد 11.
8. خليفي، ع. (2005). صـور الشـيخ بوعمامة في المأثور الشـعبي. مجلة المصـادر، جامعة وهران، العدد 06.
9. زوزو، ع. (2010). الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين (1914–1939). وزارة المجاهدين، الجزائر، المجلد 04.
10. خليفي، ع. (2024). الشيخ بوعمامة في صحيفة البرهان المصرية. مجلة العصور الجديدة، جامعة وهران 1، مجلد 14، عدد 01.
11. قاسيمي، ز. (2026). جرائم 8 ماي 1945 بقالمة وسطيف وخراطة من خلال أرشيف هيئة أركان الحرب الفرنسية. مجلة التاريخ المتوسطي، جامعة جيجل، مجلد 08، عدد 01.
12. بن الشـــيخ، ح. (2011). عبد الرحمن الجيلالي من خلال مؤلف تـاريخ الجزائر العـام. المجلـة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مجلد 02، عدد 03.
13. أبو ريشة، ع. (2019). بعض الأساليب الاستعمارية في القضاء على المقاومة المسلحة (1912–1936). مجلة مدارات تاريخية، المغرب–الجزائر، مجلد 01، عدد 04.
14. بوغدادة، أ. (2022). جرائم الاحتلال الفرنســي ضــد الإخوان الرحمانيين في الأوراس: ثورة 1879 أنموذجًا. المجلة التاريخية الجزائرية، مجلد 06، عدد 01.
15. بن الشـيخ، ح. (2016). أبو القاسـم سـعد الله رائد المدرسـة التاريخية الجزائرية. المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، مجلد 07، عدد 02.

16. قنان، ج. (1988). مدرسة التاريخ الاستعماري بين الأيديولوجية والموضوعية. مجلة الدراسات التاريخية، المجلد 03، العدد 02.
17. بيتور، ع. (2022). منطلقات مدرسة التاريخ الاستعماري كما حددها جمال قنان. مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر 2، مجلد 23، عدد 01.
18. حسون، ع. (2016). سياسة التعليم الفرنسية بالجزائر وموقف الجزائريين منها (1954–1962). مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 08، عدد 03.
19. زوينة، ب. (2023). سياسة الإدماج الفرنسية ونابليون الثالث في الجزائر (1860–1870). مجلة الدراسات والأبحاث، مجلد 15، عدد 01.
20. الترفيدي، م. (2005). محاربة الاحتلال للغة والثقافة العربية وموقف الحركة الوطنية. مجلة اللغة العربية، العدد 12.
21. تيتة، ل. (2019). منطقة الأوراس بعد اندلاع الثورة التحريرية في تقارير الجنرال جول شاريير. مجلة البحوث التاريخية، مجلد 03، عدد 01.
22. قن، م. (2019). من معالم الدخول الديني في مدينة الجزائر (1830–1850). المجلة التاريخية الجزائرية، مجلد 03، عدد 02.
23. قاصي، ف. (2022). الذاكرة الجماعية وإشكالية كتابة التاريخ. مجلة الحضارة الإسلامية، مجلد 14، عدد 28.
24. برمزور، ع. (2017). نقد التاريخ الاستعماري الفرنسي لإعادة كتابة التاريخ الوطني. المجلد 08، العدد 06.
25. هجالة، خ. (2024). نمط كتابة تاريخ الجزائريين بين القرن 19 و20. مجلة هيردوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 08، عدد 04.
26. مدور، و. (2015). التحولات الحضرية في المناطق الجبلية: حالة وادي عبدا–الأوراس. العدد 41.
27. طهوري، ع. (2023). دور المراسلات في ثورة الشيخ بوعمامة (1881–1900). مجلة عصور، مجلد 22، عدد 01.

28. قرباش، ب. (2022). معاهدات السلم الجزائري مع البرتغال وصقلية والوساطة الإنجليزية (1810–1813). مجلة البحوث التاريخية، مجلد 06، عدد 01.

29. رزيق، م. (2014). تاريخ الأمير عبد القادر: قراءة في معاهدة التافنة 1837. المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية، العدد 03.

30. شـــبوط، س. (2018). حركة انتصـــار الحريات الديمقراطية (1945–1954). مجلة المعارف، جامعة تلمسان، العدد 08.

31. طمزادا، ع. (2025). الوثائق الأصـــلية إبان الثورة التحريرية الجزائرية. مجلة القانون العام الجزائري والمقارن، جامعة البليدة 2، مجلد 11، عدد 02.

32. لونيســـي، إ. (2022). مجاعة 1866–1868 في الجزائر من خلال جريدة المبشـــر. مجلة الجزائر للدراسات التاريخية المتوسطية، مجلد 08، عدد 01.

33. زوزو، ع. (2010). المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة. وزارة المجاهدين.

34. مزرعي، س. (2019). الكتابة التاريخية عند أبو القاســم ســعد الله بين المنهج الشــمولي والتحليلي. مجلة العصور الجديدة، مجلد 09، عدد 03.

35. بوعدادة، أ. (2022). جرائم الاســـتعمار الفرنســـي ضـــد الإخوان الرحمانيين في الأوراس. المجلة التاريخية الجزائرية، مجلد 06، عدد 01.

36. بلعربي، خ. (2016). المؤرخ أبو القاســم ســـعد الله ومنهجه في الكتابة التاريخية. المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مجلد 07، عدد 02.

37. بوعزيز، ي. (1978). انتفاضة سكان الأوراس 1879. العدد 60–61.

38. كحول، ع. (2018). مقاومة الصـــادق بن الحاج في الأوراس (1844–1859). المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والأدبية، العدد 06.

39. بوعزيز، ح. (2025). ضريبة اللزمة وأثرها على سكان القبائل الكبرى (1857–1919). مجلد 10، عدد 01.

40. إيلال، ن. (2017). المرســـوم المشـــيخي 1863 في الجزائر. مجلة الباحث في العلوم الإنســـانية والاجتماعية، مجلد 08، عدد 02.

41. بن أزواد، ف. (2021). مسألة السيادة وفكرة الوطنية في الكتابات الجزائرية (1830–1962). المجلة التاريخية الجزائرية، مجلد 05، عدد 01.
42. بوعقادة، ع. (2022). نحو مدرسة تاريخية وطنية. المجلة التاريخية الجزائرية، مجلد 06، عدد 02.
43. عبد الحفيظ، م. (2022). التوجهات للكتابة التاريخية المعاصرة. مجلة العبر والدراسات التاريخية والآثارية لشمال إفريقيا، العدد 02.
44. بليل، م. (2015). الكتابة التاريخية عند أبو القاسم سعد الله بين الذاتية والموضوعية. مجلة الدراسات التاريخية، العدد 04.
45. بو لطيف، ل. (2011). نحو مدرسة تاريخية جزائرية: فتح ملفات عالقة. مجلة العصور الجديدة، العدد 03–04.

3 –الموسوعات و المعاجم :

1. خدوسي، ر. (2014) موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين (الجزء الأول: الحروف أ–خ) الجزائر: منشورات الحضارة

4– الرسائل الجامعية :

1. مغدوري، ح. (2008). الكتابة التاريخية عند الباحث عمار هلال (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الجزائر، الجزائر.
2. لعشوري، م. (2023). أبو القاسم سعد الله ودوره في كتابة التاريخ (مذكرة ماجستير غير منشورة). جامعة الجزائر، الجزائر.

5– المداخلات و المؤتمرات

1. الربيعي، ن. (2010). الهوية الثقافية الجزائرية وأثر تعدد المرجعيات (مداخلة علمية، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر).

7 – المطبوعات الجامعية

1. قداش، م.، وقنانش، م. (2013). نجم شـمال إفريقيا 1926–1937: وثائق وشـهادات لدراسـة التيار الوطني الجزائري (ترجمة خليل أوذاينية). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

8 – المراجع باللغة الأجنبية :

– الكتب :

1. Lartigue, R.-J.-F. de. (1904). Monographie de l'Aurès (p. 140). Constantine: Imprimerie Marle-Audrino.

– المجلات

1. Le Mobacher. (1879, 29 January). Journal officiel de l'Algérie, No. 1983.
2. Le Mobacher. (1879, 8 February). Journal officiel de l'Algérie, 31st year.
3. Le Mobacher. (1879, 19 February). Journal officiel de l'Algérie, No. 1989, official section

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر و عرفان

إهداء

مقدمة: .....أ

الفصل الأول : الإطار النظري العام للكتابة التاريخية الجزائرية

المبحث الأول: مفهوم الكتابة التاريخية والسياق التاريخي لظهورها في الجزائر..... 3

1/ مفهوم الكتابة التاريخية 3

2/ السياق التاريخي لظهور الكتابة التاريخية في الجزائر..... 5

المبحث الثاني: مميزات الكتابة التاريخية الجزائرية..... 18

أ) مميزات الكتابة التاريخية الجزائرية في فترة الاستعمار الفرنسي (1830 – 1962):..... 18

مميزات الكتابة التاريخية الجزائرية في فترة ما بعد الاستقلال (1962): 20

المبحث الثالث: صعوبات الكتابة التاريخية في الجزائر ما بعد الاستقلال 22

الفصل الثاني : التعريف بعبد الحميد زوزو إنتاجه التاريخي

المبحث الأول: حياته الشخصية 27

1– المولد ونشأته:..... 27

2– مسار العلمي والمهني: 29

المبحث الثاني: عرض مؤلفاته التاريخية 32

الكتاب الأول: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 – 1900)م 32

2/ الكتاب الثاني: ثورة بوعمامة (1881 – 1908م)..... 35

3/الكتاب الثالث : 39

الأوراس إبان الاحتلال الفرنسي (1937 – 1939م) دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية..... 39

4/ الدراسة الظاهرية لكتاب: مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشال 43

5/ الدراسة الظاهرية للكتاب: محطات في تاريخ الجزائر (دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة)..... 45

6/ الدراسة الظاهرية لكتاب: المرجعيات التاريخية للدولة الجزاءرية الحديثة. 47

7/ الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين (1914-1939)..... 49

المبحث الثالث: المواضيع والقضايا التي تناولها 52

أ- قضايا المرجعيات التاريخية: 52

ب/ قضايا الكفاح المسلح والثورة..... 78

ج- قضايا الهجرة والنفي السياسية:.....101

الفصل الثالث : ثورة الأوراس 1879 كدلالة لإهتمام عبد الحميد زوزو بالتاريخ المحلي

المبحث الأول: الدراسة الظاهرية لكتاب ثورة الأوراس 1879: 114

1/ الوصف الخارجي للكتاب: 115

المبحث الثاني: الدراسة الباطنية لكتاب ثورة الأوراس 1879 116

2/ المصادر والمراجع التي اعتمد ع ليها الكتاب : 123

3/ منهج وأسلوب كتابة ثورة الأوراس 1879 م 127

4/ أهداف وأهمية الكتاب، ثورة الاوراس 1879م.....131

6/ نقد ثورة الاوراس عام 1879: 135

خاتمة 139

الملاحق

قائمة المصادر و المراجع

فهرس المحتويات

ملخص

ملخص الدراسة

ملخص:

يناقش موضوع عبد الحميد زوزو واسهاماته في الكتابة التاريخية الجزائرية تبعا لخطة قوامها مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ومن خلال هذه الدراسة عرضنا الاطار النظري العام للكتابة التاريخية الجزائرية من خلال مفهومها ومميزاتها والصعوبات التي واجهتها كما تطرقنا الى الحديث عن شخصية عبد الحميد زوزو متتبعين مسيرته وتعليمه وصولا الى حياته المهنية ثم تطرقنا الى دراسة كتبه من خلال تحليل نتاجه العلمي الغزير بينما اولينا عناية خاصة بكتابه ثورة الاوراس 1879 الى التحليل المعمق كدليل على اهتمامه بتاريخ المحلي واستنطاقه للمادة التاريخية.

Summry:

This study discusses the topic of Abdelhamid Zouzo and his contributions to Algerian historical writing through a structure consisting of an introduction, three chapters, and a conclusion. Through this research, we presented the general theoretical framework of Algerian historiography by examining its concept, characteristics, and the difficulties it encountered. We also addressed the life and personality of Abdelhamid Zouzo, tracing his educational journey and professional career. Furthermore, we analyzed his numerous scholarly works, while giving special attention to his book Thawrat al-Awras 1879 through an in-depth study, as evidence of his interest in local history and his ability to critically interpret historical sources.